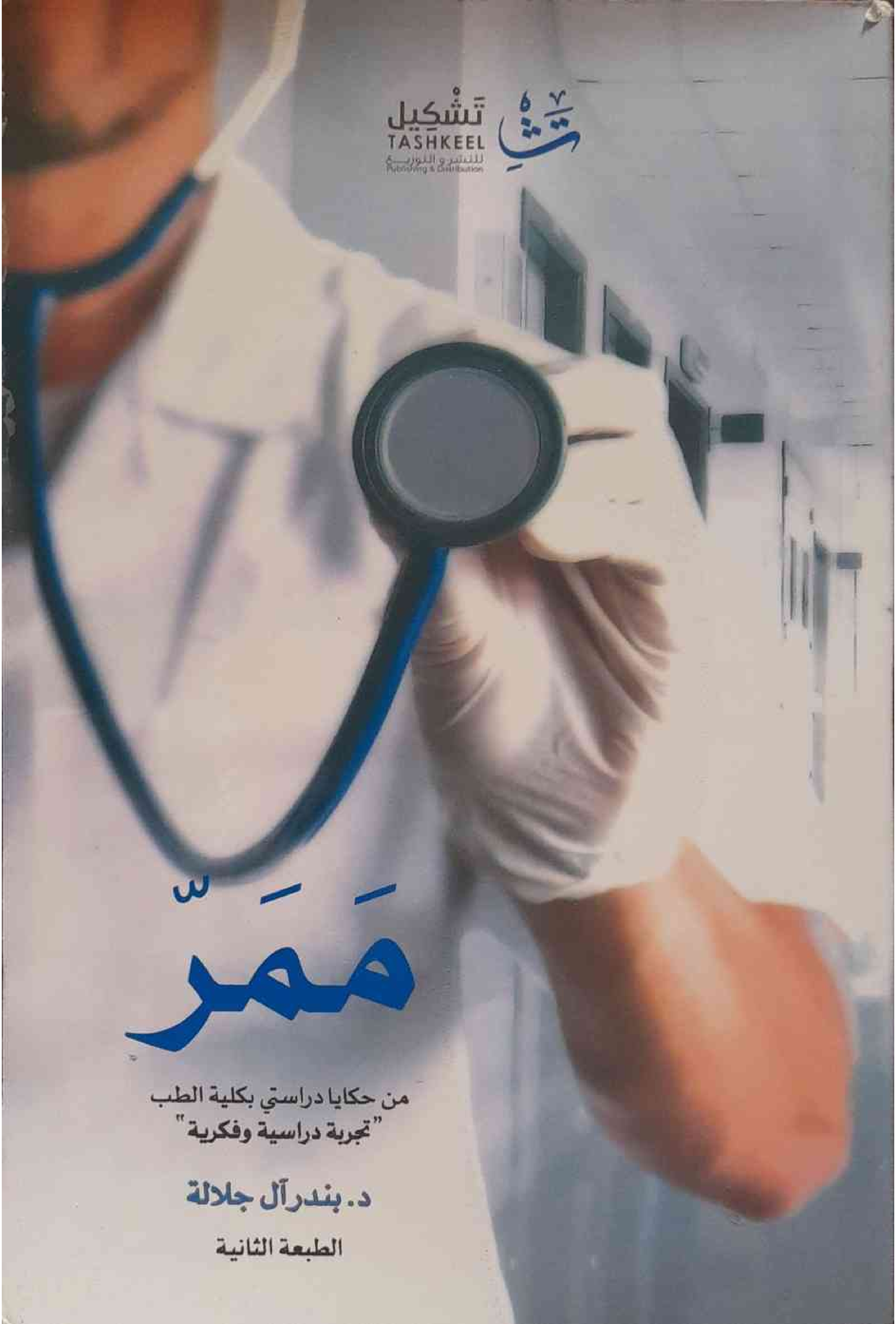


تشكيل
TASHKEEL
للنشر والتوزيع
Publishing & Distribution

مَمَرّ

من حكايا دراستي بكلية الطب
"تجربة دراسية وفكرية"

د. بندر آل جلالة

الطبعة الثانية

مَمَرّ

ح دار تشكيل للنشر والتوزيع، ١٤٣٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
آل جلالة، بندر
نمر. / بندر آل جلالة - الرياض، ١٤٣٨هـ
١٦٧ ص، ١٤ x ٢١ سم
ردمك: ٥-٢-٩٠٩٦٨-٦٠٣-٩٧٨

١- النجاح أ. العنوان
ديوي ١٥٨,١ ١٤٣٨/٨٨٩٣

رقم الإيداع: ١٤٣٨/٨٨٩٣
ردمك: ٥-٢-٩٠٩٦٨-٦٠٣-٩٧٨

تشكيل
TASHKEEL
للنشر والتوزيع
Publishing & Distribution
@Tashkeell

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو مكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها تسجيل المعلومات واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

مَمَرّ

من حكايا دراستي بكلية الطب
«تجربة دراسية وفكرية»
(٢٠٠٤م - ٢٠١١م)

د. بندر آل جلالة

تشكيل
TASHKEEL
للنشر والتوزيع
Publishing & Distribution

الطبعة الثانية
٢٠١٧

مقدمة

كل تجربة نعيشها؛ ستؤثر في وعينا وسلوكنا ومشاعرنا.. ليس ضرورياً أن نعيش سبعين سنة لكي نسرد ذكرياتنا؛ فكل سنة في حياة الإنسان تحمل في جوفها ألواناً من الأحداث والتجارب.

منذ عام ٢٠٠٤م ولمدة سبعِ سنواتٍ كانت قصتي مع دراسة الطب بأبها، جنوب السعودية. لم تكن مجرد دراسة جامعية، بل حكاية تَغَيُّر في التفكير، وتشكلاً لرؤيةٍ مختلفة، وتكوّنًا لقناعاتٍ متنوعة.

في هذا الكتاب حكيتُ شيئاً مما حدث معي في دراستي وبنائي لذاتي معرفياً وفكرياً.. حكيتُ قصصاً أثّرت في وجداني وعقلي، ومواقف دفعتني لأكون أكثر فهماً، وأخطاءً ارتكبتها وتجرعت مرارتها وتعلمت منها.

كتبت هذه الحكاية لنفسي أولاً، ثم لمن يريد أن يطلع على تجربة شابٍ ما يزال يمضي نحو تحقيق رؤيته ويسعى لتأدية رسالته. شاب لديه أخطاؤه وتقصيره، في ذات الوقت اعتاد الركض تحت المطر!

المؤلف

١٠ يناير ٢٠١٧

ميونخ، ألمانيا

شكر

في مباريات كرة القدم يصفقون لمن يسجل الهدف، وينسون من صنعه! فإن كنتُ قد حققت شيئاً جيداً في حياتي حتى الآن؛ فالشكر والفضل لله أولاً، ثم لوالدي ووالدتي، ثم لأخواتي وإخواني، وكذلك لأساتذتي وأصدقائي.

شكراً لكم جميعاً، بحجم دعمكم العظيم لي.

إهداء

إلى زوجتي الغالية (دوله)
هنا شيء من حكايا زمنٍ مضى
حكيتُ لكِ بعضًا منها
وبقي ما ستحكيه لكِ هذه الأوراق!

أقوى صدمة!

بداية ألم

اتصل بي الصديق عبدالله الشهري يخبرني بنسبتي في الصف الثالث الثانوي، حصلت على ٩٧٪ في الوقت الذي كانت الأسئلة تأتي عن طريق الوزارة.

فرحت بالتخرج، تلقيت التهاني من الأحبة والأصدقاء.. بدأت أجهز لاختبار القدرات والتحصيلي، وعيني على كلية الطب!

أنهيت هذين الاختبارين اللذين طُبقا لأول مرة في تلك السنة، درجتي فيهما كانت جيدة.. وبعد أيام بدأ التسجيل في كلية الطب بأبها، كنت واثقاً بأنني سوف أُقبل بلا أدنى شك.

حدث ما لم أتوقعه أنا ومن حولي، أكبر صدمة هزت كياني.

توجه أحد الزملاء للمبنى السابق المتهالك لعمادة القبول والتسجيل، ولم يجد اسمي ضمن المقبولين!

لم يخطر ببالي أبداً أن يحدث ذلك، صعقَ الخبرُ جسدي، وآلم نفسي؛ فأصابني هم شديد وحزنٌ عميق.

تساءلت بحرقة: « لَمَ حدث هذا؟!»

لا يعقل ألاّ أدرس الطب!

عرفت أن السبب هو تدني درجتي في اختبار القدرات، والمشكلة أن تسجيل كل كليات الطب السعودية الأخرى كان في نفس الوقت!

كان والداي فخورين بتفوقي طوال دراستي؛ فكيف يمكنهما استيعاب

أن ابنهما المتفوق لم يُقبل في كلية الطب؟!

كيف أخبرهما؟!

كانت نجاحاتي مصدر سعادةٍ لهما؛ فكيف أتحول لباعثٍ للهم!

أخذت أدور بسيارتي مسافات طويلة، والهم يخنقني، والغم يكسرني.

وقع الخبر على أهلي كالصاعقة، خصوصاً والدي.. فقد كان ينتظر اليوم الذي أُقبل فيه.. بل كان يشجعني على التفوق منذ الأول الابتدائي لأدخل الطب.

حاولت الخروج من دائرة الألم إلى مسارات البحث عن حل.

البحث عن نافذة أمل

ذهبت للجامعة أستفسر عن إمكانية وضع اسمي ضمن الاحتياط؛ فلم أجد تجاوبًا.

ذهب معي والدي إلى أحد المسؤولين، وللأسف كان استقباله غير لائق، ثم ذهبنا إلى وكيل الجامعة حينها: أ.د. سالم الوهابي.. لن أنسى تشجيعه ولطفه وكرمه، و لكنه أكد لنا أن القبول مستحيل.

كنت في كل مرة أذهب لمسؤول أقول أنني أطالب بحق وليس واسطة!

ثم ذهبنا لمسؤول رفيع، وللأسف صدمنا من سوء استقباله! لم يرد السلام.. ولم ينظر إلينا.. وبالطبع لم يفعل لنا شيئاً!

كان قلبي يُشوى بجمر الألم؛ فأبي الذي كان يرفع رأسه حين يأتي للمدرسة.. ها هو يمضي مطالباً بحقي تارة، ومتوسلاً تارة، والقلب مكسور، والخاطر حزين..

انتشر الخبر في محيطي، انتعش الشامتون، حزن المحبون، توالت الاتصالات، وبدأ يتجلى ما في النفوس.

ولا يمكن أن أنسى ذلك المعلم بمدرستي بالثانوية حين كان يشمت بي أمام الطلبة، قائلاً: «إن بندر لم يقبل في الطب؛ لأنه كان يترك المدرسة ويذهب مع الموهوبين!!»

بعد أيام سافرت مع والدي إلى إحدى الجامعات في مدينة أخرى، والتقينا فيها بأحد المسؤولين بتوصية من أحد الوجهاء؛ فأخبرنا أن

القبول مستحيل!

كان استقباله لنا بغيضًا، لم يكن ممن يشجعني ولو بكلمة كما يفعل أصحاب الخلق الرفيع الحضاري.

عدنا إلى أبها والحزن جاثم على قلوبنا.

إلى جدة

اتصل بي عمي الحبيب الشيخ علي بن جلالة، وطلب مني السفر إلى جدة لأذهب معه لمقابلة شخصية مهمة؛ لأعرض عليه شكواي.

وصلت جدة وقابلت عمي الذي فرّغ وقته لي مع أنه كان يعيش فترة نقاهة بعد جلطة أصابته، مسح بكلماته الحنونة على قلبي المكسور.

في الصباح توجهت معه لعرض مطالبتي بحقي على تلك الشخصية البارزة، تفاعل معنا بشكل رائع جداً وساءه ما حصل، ولكن لم يحصل لي ما أردت!

قارب كفاح

بعد أسابيع من الهم والسفر بحثاً عن بصيص أمل، إضافة لما وجدته من سوء خلق بعض المسؤولين، وشماتة أهل القبح.. قررت قيادة قارب الكفاح في بحر العناء.. مستعيناً بالله ثم بأشرعة التفاؤل والتحدي.

يقول الدكتور تيري بولسون: «لا شك أن الحياة صعبة، لكن طريقة استجابتك لهذه الصعوبات هي التي ستحدد كونك ضحيةً أو مقاوماً مرناً. هذا الاختيار المستمر ليس مرتبطاً بما يحدث لك بقدر ارتباطه بطريقة تصنيفك لتأثيره على حياتك. لا يبحث المتفائلون عن أعذارٍ أو أشخاصٍ يلقون عليهم اللوم، هم مشغولون بإيجاد طرق للنهوض من جديد، وتحقيق أفضل استفادةٍ من أي إخفاق، بدلاً من النظر للوراء. هم يتطلعون قُدُماً، مهما حصل لك لا تقبل أن تصنف نفسك كضحية! بناءً على ما حدث لك؛ فربما تجد من المغري أن تصنف نفسك كضحية! لكن ذلك سينتزع منك الإرادة والتوجه الذهني الإيجابي اللذين تحتاجهما للتغلب على المحن التي ستواجهها باستمرار».

السنة المؤلمة!

صبر

يقول ديفيد فيسكوت: ليس هناك نقطة يجب أن يقال عندها (كن صبوراً) بمقدورك أن تكون صبوراً فقط حينما تشعر بأنك تسير في الاتجاه الصحيح. إن الاتجاه الخاطئ دائماً ما يجعلك تشعر بقليل من الجزع. إنك تعلم أنه ينبغي عليك دائماً أن تفعل شيئاً آخر. إنك لا تستطيع حتى الاستمتاع بإجازة عندما لا تجد نفسك؛ لأنك حينئذ لا تستطيع أن توجد اختلافاً بين الإجازة وبين بقية حياتك. فلا شيء ذو قيمة يحدث في أي منهما. إنك عندما تعرف اتجاهك، لا تستطيع عمل أي شيء سوى أن تظل صبوراً.

تأملت كثيراً في قصص الناجحين، كانت ماء منعشاً لي في صحراء المعاناة.

وجدت أن غالبيتهم نجحوا لأنهم حولوا المشكلات والأزمات إلى تحدي.. أيقنت أن قدري السباحة مبكراً وسط بحور الأزمات.

صناعة الخبر الخاص

منذ اليوم الأول للدراسة توجهت للجامعة والحماس يدفعني لكي أثبت أمام رياح التحدي.

ويقول ويس سكوب نيسكر: «إذا كانت الأخبار لا تعجبك؛ فاذهب واصنع الأخبار الخاصة بك!».

كانت بعض كليات الجامعة تقع على الحزام الدائري بأبها، مبانيها سيئة، تحوي آلاف الطلبة، بدأنا بما يسمى (سنة العلوم الصحية)

كل المقبولين يدرسون معًا في كلية الطب، وطب الأسنان، والصيدلة، والعلوم الطبية بحيث ينتقل كلٌ إلى تخصصه في السنة التالية أو يحول لكلية أخرى بناء على المعدل.

كان هدفي الأساسي هو تجاوز تلك السنة بمعدل يسمح لي بالتحويل من كلية الصيدلة إلى كلية الطب.

طيلة ذلك الفصل الدراسي كنت في صراع نفسي. رآني الجميع (طالب صيدلة)، مع احترامي الشديد لهذا التخصص، ولكن ليس هو هدفي إطلاقا.

مرّت بي عشرات المواقف المؤلمة، جعلت مني إنساناً يُصر على تحقيق حلمه، يُصر على القفز عبر حواجز التحدي.

كانت المكافآت تُوزع عبر شيكات، رأيت ذلك أول شيء يُفرق فيه بين الطلاب حسب التخصص، كنت أشعر بالضيق والكدر كلما أقرأ في

الشيك (التخصص: صيدلة)!

وكذلك البطاقة الجامعية؛ فمنذ أن استلمتها وأنا لا أحملها معي إطلاقاً بسبب احتوائها على ذات العبارة.

كنت أجلس مع بعض الطلبة ممن قُبلوا في كلية الطب وطب الأسنان؛ فأجد من بعضهم تلميحاً، بل أحيانا تصريحاً بأني لست كفؤًا أن أكون من طلبة الطب؟!

خصوصاً أن هنالك العشرات ممن كان يسمع عني لظهوري في الإعلام وفي برامج الموهوبين في المرحلة الثانوية.

اسوأ لحظة

كانت أسوأ لحظة حين يسألني أحدٌ عن تخصصي؛ فلا أستطيع قول الحقيقة، وأشعر بالسأم من تكرار قصتي و طموحي. أما أبي؛ فيتأثر كثيراً حين يُسأل عن ذلك!

توالت الأسابيع وأنا صابر، وعشقي لتحقيق أحد أهم أحلامي يزداد.

مادة اللغة الإنجليزية

الفصل الأول كان عبارة عن دراسةٍ لمادة اللغة الإنجليزية، غالبية الأساتذة من جنسيات آسيوية؛ ولذا كان أغلب من استفاد منه هم الطلبة الذين تعبوا على تعليم أنفسهم!!

كنا ندرس أربع مواد مهارية: (قراءة، كتابة، استماع، قواعد) معظمها يحوي مصطلحات طبية، كان أصعبها (الاستماع).

وُزِّعنا لعدة مجموعات، دوام صباحي ومسائي، وكنت من الفرحين بالمسائي، بعد الظهر. لكن سرعان ما اكتشفت أنني بذلك صرت خارج النمط الطبيعي!!

تعبت كثيراً من هذا التوقيت، حاولت جاهداً لم أستطع، وبعد عدة أسابيع تحولت إلى الدوام الصباحي.

إبرة

في إجازة عيد الأضحى من تلك السنة سافرت مع أهلي إلى جدة، وصلنا متأخرين جداً. كانت الشقق والفنادق ممتلئة.. بالكاد وجدنا شقة متواضعة!

الشقة كانت مفروشة بفرش سيء، في تلك الليلة أحسست بألم في باطن قدمي ثم اختفى.. ثم عاودني مرةً أخرى.

عدنا للجنوب بالسيارة، كنت أقود متألماً، استخدمت مسكنات لكن لا فائدة، وصلنا للبيت.. نمت، وفي الصباح لم أستطع المشي إطلاقاً!

حَبَوْت متألماً على ركبتي حتى وصلت غرفة والدي ودموعي تنهمر ألماً، أفجعه المنظر! حملني إلى مستشفى عسير، عملوا أشعة، اكتشفوا وجود إبرة خياطة!!

كانت تلك الشقة البائسة هي مصدر الإبرة! مَكثتُ في باطن قدمي أيام!! قرروا عملية جراحية، أول مرة أبيت في مستشفى!

قضيت ليلة لن أنساها أبداً، أجريت العملية بنجاح، غادرت المستشفى متوكزاً على عصا.

بعد تجربتي المرضية تلك ازداد عشقي للطب لما فيه من عطاء إنساني عظيم!

استخدامي للعصا كان شفيعاً لأوقف سيارتي داخل مواقف الجامعة الخاصة، وهذا كان مثارَ غضبٍ للبعض، ويحق لهم ذلك!

إحباط

في مادة اللغة الإنجليزية يصاب البعض بإحباط حين يشاهدون بعض الطلبة - ممن يجيدون اللغة - يتحدثون بطلاقة مع المحاضرين، توقع الكثير أنهم سوف يرسبون وينجح أولئك!

تأملت حالهم؛ فتوقعت أنهم يجيدون التحدث، لكن قد لا يجيدون الكتابة، أو فهم القواعد!

وبالفعل؛ فكثير منهم أنهى المادة بدرجة أقل من أولئك المبتدئين!

لم يكن تعليم الأساتذة لنا تعليماً جيداً؛ ولذا وجد البعض صعوبة باللغة في السنة الثانية وما بعدها

قضينا في تعلم اللغة فصلاً دراسيًا كاملاً، لكن بصراحة لم نستفد كما ينبغي، واضطر كثيرون - وأنا منهم - لأخذ دروس خصوصية!

كان نمط تعليم اللغة يركز على التهويل من الاختبار والتهديد به أحياناً!

لم نكن نعيش في جو محفز يعلمنا اللغة بطريقة محببة مشوقة.

جهد

كنت أداوم يومياً من خميس مشيط إلى أبها، أستغرق في الطريق ساعة ونصف! طوال سنوات الدراسة استمعت إلى عشرات الألبومات السمعية المختلفة.

كثّفتُ جهدي للحصول على معدلٍ جيد للتحويل لكلية الطب، وسط تلك الأجواء النفسية والأكاديمية القاسية كنت أظهر لأهلي وللآخرين أكثر استقراراً وهدوءًا.

كان أول شيء بدأت ألاحظه بين معظم الطلبة الحرص على مقارنة أنفسهم أكاديمياً بغيرهم، بطريقة لا تؤدي بهم إلاّ إلى حُفر الإحباط!

بينما كنت في كل لحظة يأس أو تعب، أتخيل نفسي وقد حققت حلمي بالتحويل لكلية الطب، ينعش ذلك إحساسي فتتقوى ذاتي وأكمل المسير.

أتت فترة الامتحانات، كان «فصل» اللغة أقرب إلى عدم الوضوح في طريقة الاختبارات، حملت همه أكثر بكثير من المواد العلمية اللاحقة!

ظنٌّ خاطئ

ظهرت نتيجة أحد الامتحانات، اعتقدت أنني ظُلمت، تألمت كثيراً لأن نقصان الدرجات يعني انخفاض المعدل؛ وبالتالي قد تقل فرصة التحويل للطب.

توجهت إلى شخصية عظيمة واسم شامخ: أ.د. عبدالله بن هادي، أول مرة ألتقي به بصفته أحد مسؤولي القسم، ابتسامته تضيء المكان.

عرضت عليه أمري، تبين لي أنني فعلا أستحق تلك الدرجة ولكن لن أنسى تلك اللمسات التربوية التي استفدتها منه بعد ذلك؛ فهو إنسان محفز ومشجع على الإيجابية.

مادتي الثقافة الإسلامية واللغة العربية

مادة الثقافة الإسلامية من ضمن مواد الفصل الأول، درّسنا إياها أستاذٌ مصري تميزه ابتسامة جميلة وعلم غزير.

كان يحضر معنا العديد من الطلبة من تخصصاتٍ مختلفة، خلالها تعرفت على الصديق العزيز جداً والغائب كثيراً: علي الشهري.

خرج من قريته واستقر بأبها، كان شغوفاً بالتميز، مليئاً بالطموح، عُين معيداً بقسم الأحياء ثم ابتعث لأمريكا للحصول على درجتي الماجستير والدكتوراة.

أما مادة اللغة العربية؛ فكانت تُقدم لنا بشكل رتيب وممل للغاية! وذلك بسبب رتابة أسلوب بعض المحاضرين.

ولكن أهم شيء يجمع هاتين المادتين هو أن غالبية الطلبة يحصلون فيها على تقدير +أ وهذا الذين افتقدناه في معظم المواد لاحقاً!

مع العلوم الصحية

بدأنا الفصل الثاني مع مواد الفيزياء، والكيمياء العامة، والكيمياء العضوية، والأحياء والإحصاء.

كانت تلك المواد تقريباً نفس التي درسناها في الثانوية؛ ولذا كانت أسهل بكثير من «فصل» اللغة. الجهد متركز على الترجمة فقط.

كان قلبي يخفق كلما اقترب موعد نهاية الفصل؛ فما يزال الشوق يشدني نحو هدفي. تمضي الأيام وتطوى الأسابيع وأنا سائر!

مادتا الفيزياء والأحياء أقرب المواد لعقلي، خصوصاً مادة الأحياء. درّسنا دكتور فاضل اسمه مجدي صاحب لطف لا أنساه.

في هذا الفصل الدراسي شعرت وكثير من الطلاب برجوع شيء من الثقة العلمية التي حطمها الفصل الدراسي الأول!

ظهرت نتيجة إحدى المواد أقل بكثير مما توقعت..

حاولت مراجعة الدكتور في ذلك؛ لكنه رفض!

بقيت عدة أيام أتردد على مكتبه ومكتب رئيس القسم، وفي أحد الأيام وجدت طالبًا من الدفعة بصحبة والده -وهو أستاذ في الجامعة- يدخلون المكتب..

عرفت أنه يريد الاستفسار عن درجته المتدنية، وبالطبع لن يرفض طلبه! انتظرت ثم دخلت فجأة بدون استئذان!!

وقلت: «حتى أنا أريد أراجع ورقتي»

وحصل لي ما أردت بالفعل.

عُنق الزجاجة

بَقيَت خطوة

انتهت سنة العلوم الصحية بكل ألمها وشقائها، بانتظار التحويل إلى كلية الطب

كانت الشروط أن يكون المعدل -على الأقل- ٣,٥ من ٥، وأيضاً حسب مدى توفر مقاعد.

كلما اقترب الموعد ازددتُ خوفاً، طُلب مني الحضور اليوم التالي للمقابلة. ثلاثة أساتذة سيقابلونني ثم سيُقبل طلبي أو يُرفض.

سألت الموظف المختص عن إمكانية إحضار شهاداتي وبعض ما أنجزته كنوع من التعريف الشخصي؛ فرد بأن ذلك شيء رائع وطلب أن أحضره حالاً لكي يطلعوا عليه قبل دخولي عليهم.

مجلد كبير يحوي عشرات شهادات التفوق في عدة مجالات، إضافة إلى مقصوصات من الصحف التي كتبت عني، وبعض الصور المهمة.

صباح يوم المقابلة كنت في قرية الوادي الأبيض في سراة عبيدة جنوب السعودية، حيث عزاء جدتي/ عمة والدتي - رحمها الله -

أوصلت أهلي، جلست ساعة عندهم، ثم غادرت.

في الطريق إلى أبها كنت منغمساً في بحر من المشاعر المختلطة: ترقب، أمل، توتر.. تفاؤل، خوف من الرفض!

عُرض أمامي شريط طويل امتد لأكثر من سنة، لو كتبت تفاصيل ما

حدث فيها فلن تكفي عشرات الصفحات؛ فتلك السنة أجهدتني كثيراً، وأهدرت مني طاقة ذهنية عالية.

اختناق

اتجهت نحو حي السامر، حيث المبنى الذي طالما تمنيت الدراسة فيه.

حلّ موعد المقابلة، عدد المتقدمين خمسة طلاب، كان ترتيب دخولي الثالث.

دخل الأول وخرج مبتسماً، ثم الثاني وخرج فرحاً، ثم جاء دوري.

فجأة.. حصل أمر مريب جداً...! حتى أن الموظف لم يجد له سببًا أو تبريرًا!!

هممت بالدخول فطُلب مني الانتظار حتى ينتهي البقية!!

تعجبت كثيراً.. ارتعش قلبي!!! خشيت أن وضعي في خطر!! موقف ساخن يذيب أمنيتي!

أخذت أهيم بمشاعر التوتر في أرجاء غرفة الانتظار!

طال الوقت و انتهى الدوام، خرج موظفو الكلية.

تملكني خوفٌ ألا تُجرى معي المقابلة!!

اشتد قلقي، بدأت أفكر في كيفية الحصول على حقي في ذلك.

هل سوف أُقبل أم سيبحثون لهم عن عذر عدم توفر المقاعد !

ثبات

خرج الطالب الرابع «يا بندر، ينتظرونك».

أحسست بأن قلبي قفز إلى حلقي، يدايَ تبللتا عرقاً، مضيتُ باتجاه المكتب، وبدأت المقابلة.

ثلاثة من أعضاء هيئة التدريس عن يميني ويساري وأمامي!

اثنان منهم كانا إلى الصمت أقرب. أما الثالث؛ فكانت أسئلته أكثر!

وخلالها حدثت بعض النقاشات التي قد يأتي زمن مناسب لسردها..

خلالها كانت الثقة تملأ نفسي، والتوكل على الله مصدر طمأنينتي.

يقول المفكر عبدالوهاب المسيري – رحمه الله – « ثقتي بنفسي هيَ في نهاية الأمرِ ثقة بالإنسَان وبمقدرتهِ على تجاوز ذاته وعلى الإصلاح والتحوُّل وعلى معرفة حدودِه. فهيَ ثقة لا ينتُج عنها غرور وخُيلاء.. وإنّما اعتزاز بالإنسان ومقدراته».

لقد تعمقتْ الصلابة في ذاتي طيلة سنة كاملة، والإلحاح لانتزاع حقي صار مهمةً طبيعية.. فلم يعد يقلقني شيء!

مرحلة انتصار

لحظة فارقة

في اليوم التالي، وجدت اسمي ضمن من قُبلوا في التحويل لكلية الطب، كانت لحظةً فارقةً في حياتي ، دمعتْ عيناي فرحاً، أحسست بلذة الانتصار على الفشل!

حمدتُ الله كثيراً، أبلغت والدي وأصدقائي.. كان الابتهاج يملأ قلوبهم، والسرور منتشر في نفوسهم.

إنها لحظةٌ يتجلى فيها أجمل تحوّل في حياتي!

فحين نخطط لهدفٍ ما ثم تتقاذف علينا العوائق؛ فإننا سنحتاج التركيز على الرؤية النهائية لحياتنا، والبحث عن مجرى آخر لمياه هدفنا.. لنعود للمضي على الطريق.

انتقال

بدأتْ السنة الثانية، وبدأ معها فصلٌ ممتعٌ جديدٌ في حياتي. انتقلنا لمبنى كلية الطب بحي السامر بأبها، ذلك المبنى الذي طالما تمنيته!

حيث شهد دخولي له مرات عديدة لوحدي، ومع والدي حين لم أُقبل من البداية..

أكاد أجزم أنني كنت أكثر الطلاب سعادة وحماسًا؛ فحين نتحدى العقبات يكون لها طعمٌ لا يعرفه سوى أصحاب الطموح.

شعرت بافتخار أمام نفسي، وثقة وثبات أمام غيري، وحمدت الله أن أعانني على القفز فوق ذلك الحاجز والذي يُعد أصعب وأعلى الحواجز في مسيرة حياتي، وأصبحت مستعداً لتقبل مزيد من النجاحات والإخفاقات!

بعد توفيق الله كان للتفاؤل والتفكير الإيجابي دور بارز في صبري لتحقيق هدفي.

يقول الدكتور وليد فتيحي عن التفاؤل «نولد به أطفالاً؛ فهو من طبيعة فطرة الإنسان، ولكنه يضعف ويقوى.. فهو يُعلَّم كما يُعلَّم نقيضه بناء على خبراتنا ونمط تنشئتنا؛ فمن تأصل فيه وأصبح من طبيعته تغيرت نظرته لنفسه وللدنيا من حوله؛ فتفجرت طاقات الحياة الكامنة الإيجابية فيه، تدعوه وتعينه على العمل والصبر والمثابرة والإنجاز.. وتمنحه السعادة والصحة الجسدية والعقلية والنفسية، وهذا ما تثبته الأبحاث

والدراسات على الإنسان، كل على قدر ما آمن به ورأى الدنيا بمنظاره.

تُعرّف منظمة الصحة العالمية التفاؤل بأنه: عملية نفسية إرادية تولد أفكارَ ومشاعرَ الرضا والتحمل، والأمل والثقة، وتبعد أفكار ومشاعر اليأس والانهزامية والعجز. ويُعرفه الطبيب الباحث الدكتور مارتن سيلجمان مؤسس علم النفس الإيجابي بأنه: الطبع ذو التوقعات الإيجابية، والذي ينطلق من الجانب المشرق ويميل إلى إظهار المشاعر الإيجابية، مثل: الحماس والإثارة.. ويصوغها في خطة وتنظيم وآلية تنفيذ ثم ينطلق في تنفيذها.

إنه منطلق التفكير الدائم بإمكانات التوصل إلى حلول عملية وممكنة لأعقد المشكلات من خلال بحث أفكار جديدة ومبادرات جريئة تفتش عن المنافذ في المعوقات، وتتحرك دوماً إلى الأحسن مزودة بالأمل والعزم.

لقد جعل الله الفطرة في التفاؤل. فالأطفال يولدون مفعمين بالتفاؤل بطاقة الحياة الموجهة للنماء، والتي أودعها الله في الإنسان، ويتعلم الأطفال التفاؤل أو التشاؤم من خلال علاقاتهم بوالديهم.. خصوصاً الأم. فإما أن تتأصل الفطرة فيهم وتقوى وإما أن تنتكس وتضعف.

ولكن كيف يؤثر التفاؤل إيجابياً على الإنسان؟

المتفائلون تُفعّل لديهم آليات التحفيز والتعزيز الذاتي مما يمدهم بالقوة والقدرة على مواجهة التحديات وتستيقظ فيهم آلية الإدراك الانتقائي. أي القدرة على رؤية الفرص وأوجه الاقتدار الذاتي والتوفيق بينهما. أما المتشائمون؛ فإنهم يبالغون في التنكر لإيجابيات الحياة ولقدراتهم

وإمكاناتهم؛ فتمر الفرص من أمامهم فلا يرونها لانشغالهم بالتركيز على السلبيات وأوجه القصور لديهم.

بل يميل المتفائلون أصحاب السمات الإيجابية إلى تعميم هذه الصفات على الآخرين؛ فينجذب الناس إليهم ويرتاحون لهم، وبذلك يكتسبون الكثير من العلاقات الإيجابية مما يعزز الثقة والتفاؤل لديهم.. ويزودهم التفاؤل بطاقة العمل لمدة أطول وبذل جهد أكبر انطلاقاً من ثقتهم بجدوى العمل لتحقيق نتائج طيبة، وبذلك يعظمون فرص نجاحهم. ولذلك فإن التفاؤل يمهد السبيل لإطلاق الطاقات والقدرات. والتشاؤم يعطلها في غياب القناعة الراسخة بالقدرة على تحقيق الغاية، وينتهي بعدم تحقيقها، ولو كان المتشائم أكثر قدرة وموهبة!

المتفائل يتقبل واقعَ الموضوعِ بمنظور تفكير إيجابي وليس بمجرد استسلام قدري، وباستيعابه لهذا الواقع فإن تأثير المحنة عليه سيكون أقل سلبية، بل يعمل على أن يحول المحنة إلى فرصة ومنحة بإعطائه المحنة معنى يتيح التعامل الإيجابي معها، ولا يدفن رأسه في الرمال متجاهلاً المحاذير والأخطار».

سنوات التأسيس..
الروتين!

تِيه

(٣٢) هو رقم دفعتنا. في أول يوم كان عددنا كبيراً، ثم أخذ يتناقص بقية السنوات، كما أننا كنا آخر دفعة يطبق عليها النظام السنوي البائس.

درسنا العديد من المواد، من أشهرها مادة التشريح حيث كانت الأكثر إمتاعاً وصعوبة!

كان رائعاً أن أشاهد تفاصيل الكائن البشري! كنت أستمتع مع أني لم أنجح فيها إلا على الحافة!

درّسنا الدكتور مدثر علام، سوداني، درّس معظم أساتذة الكلية!

لم أكن أفهم ما يقوله!

يحفظ كل تفاصيل جسد الإنسان، حتى أصغر الشرايين والأعصاب! يبهرنا.. نحن عنده كالأطفال! نقبل رأسه، في حين أنه من الصعوبة أن نجاوب كل أسئلته في الامتحان!

أما الدكتور عبدالقوي -رحمه الله- فكان ضخم الجسم، دائم الابتسامة. أصعب مشكلة واجهتنا أننا لم نكن نعرف كيف نذاكر! ولأي كتاب نرجع؟! لا يوجد شيء محدد، الغموض سبب لنا خوفاً وتعاسة.

يدخل علينا الأساتذة، يتحدثون كثيراً وبالتفصيل الممل، وأغلبنا لا يفهم شيئًا!

يدخلون في تفاصيل جسد الإنسان، ونحن همنا الوحيد كيف سيكون الامتحان!

كان لبعض الطلبة - الذين أعادوا من الدفعة التي قبلنا - دورٌ لن ننساه في توضيح أشياء مهمة.. كنا نستفيد منهم أكثر من الأساتذة!

من السارق؟

العم رجائي، مصري، فني معمل التشريح، عمره تجاوز الستين، جميع أبنائه وبناته استشاريون واستشاريات، يعمل منذ أن كان معظم الأساتذة طلاباً!

كنا كأبنائه الصغار، نعامله كالجد؛ احتراماً وتقديراً.

لديه قوائم التحضير، الكل يحبه مع أنه كان يصرخ في وجوهنا أحياناً من كثرة تجاوزات بعض الطلبة!

كان يحتفظ بكتيبات تحمل صور المتفوقين في الكلية منذ افتتاحها، يُرينا صور الطلبة المتفوقين والذين أصبح أغلبهم أساتذة في الكلية فيما بعد!

في أحد الأيام رأيته بعد انتهاء الدوام يركض ويصرخ باتجاهي!!

تقدمت نحوه..

صرخ بأعلى صوته: «مجموعتكم سرقوا جهاز العرض، لازم ترجعونه!»

حاولت تهدئته، ظل يصرخ ويدعو على السارق!!

لم يكن يملك دليلاً ضد مجموعتنا، طلبت منه التريث وإبلاغ أمن الكلية ليبحثوا في الأمر!

في اليوم التالي تحدثت للزملاء، طلبت منهم أن يساعدوا في التعرف على السارق.. الجميع ليس لهم علم بذلك، بحثت عن العم رجائي لأخبره؛ فلم أجده!

سألت عنه، أخبروني أنه قدم استقالته!

صُدم الجميع، تألموا لذلك، خصوصاً أنه مصاب بعدة أمراض وقد يؤثر ذلك على صحته.

خيم الحزن على الجميع في أول حصةٍ عمليةٍ بعد مغادرته، شعرت بغصة في حلقي.. تمنيت أن ذلك لم يحصل! فقد كان وجوده جميلاً ماتعاً.

كان آخر لقائي به لا ينسى، وكلما تذكرته دعوت له.

مادة التشريح

مادة التشريح كانت أصعب مادة درستها في حياتي ، الصعوبة ليس في ذات المادة فقط بل في طريقة المذاكرة !

طوال المراحل الدراسية كنا متعودين أن نذاكر منهجًا محددًا من كتاب محدد، لكن مع بداية السنة الثانية ومع مادة التشريح تغير الوضع تماماً.

أصبح يتوجب علينا البحث والقراءة في عدة مراجع، لم يعد هنالك مصدر واحد يمكن فهمه وحفظه، بل صار الأمر يتطلب منا التعمق والبحث.

كانت المشرحة كالسوق أحياناً من شدة ارتفاع الأصوات!

هنالك من يشرح لزملائه وآخرون يتحادثون، ويضحكون، وهكذا..

كنت أحياناً مع ذاك الفريق وأحياناً مع الفريق الآخر.

على الرغم من بؤس المادة إلا أن الوقت الذي كنا نقضيه في المشرحة صاحبته ذكريات ماتعة.

ظل التوتر رفيقنا طوال السنة، كان أغلبنا يقرأ من كتاب (سنل)، عيوننا تنظر في الورق وتفكيرنا في الاختبار!

هذا التحول المفاجىء في طريقة المذاكرة، والرجوع للكتب والمراجع.. أعتقد أنه السبب الأبرز في رسوب كثير من الطلبة، وكذلك في خروج بعضهم من الكلية!!

كنا نعيش تحت ضغط نفسي رهيب.. تعبنا كثيراً، والأسوأ من الجزء النظري كان الجزء العملي.

السيد (F)

كثيرة هي الأشياء التي جعلتني أكره هذه المادة، وأكثر ما أثار استيائي هو أنها تعتمد بشكل كبير على الحفظ وليس الفهم - من وجهة نظري- .

كانت مقسمة على فصلين دراسيين، وبالطبع كنت مع الغالبية الذين نالوا السيد العزيز (F) في اختبار نصف السنة!

ولمن لا يعرف من هو السيد (F) فهو يعني راسب! حيث رافقني في بعض المواد.. كانت تربطني به علاقة حب!!

كان من الطبيعي أن تكون نسبة الرسوب في اختبار نصف السنة عالية جداً، قليل من زملائنا (الدوافير) من حصل على نتائج جيدة.

الدماغ هو الشيء الوحيد الذي أعجبني في المادة.

بعد منتصف الفصل الثاني صار أغلبنا يعرف طريقة المذاكرة ومهارة استخدام المراجع العلمية، لكننا خسرنا كماً هائلاً من الدرجات في الاختبار النصفي!

ولأول مرة في حياتي الدراسية صرت يومياً أحسب كم أحتاج من الدرجات لكي أنجح!

في ليلة الامتحان لم أستطع النوم إطلاقاً.. لأول مرة أذهب لامتحان دون نوم!

التوتر والخوف من الرسوب يخنقني، كل من في القاعة يخيم عليهم الهلع..

بالكاد نجحت!!

كان مجرد النجاح وتوديع تلك المادة يوازي التفوق في كل مواد السنوات الثلاث الأولى!

بقيت لأسابيع أحتفل بنجاتي من تلك المصيدة القاصمة!

قفزة خاطئة

صحيح أن سعة الاطلاع والرجوع للمراجع العلمية والبحث هو الطريقة الصحيحة في التعليم الطبي القوي، ولكن أن يُطبق ذلك بشكل مفاجئ، ونحن طوال سنوات التعليم العام والسنة التحضيرية نُدرّس بشكل تقليدي، تلقيني؛ فهذا خطأ فادح جداً! كان يجب أن يكون ذلك بشكل متدرج متقن حتى يمكننا التأقلم والتميز.

هذه القفزة الخاطئة كانت نقطة تحوّل إلى السلبية وكره التعلم لدى معظم الطلبة؛ فطلاب الطب كانوا الأوائل في الثانوية، وبعضهم الآن يسقطون في حفر الرسوب وإعادة السنة!

الأخطاء المنهجية ليست فقط السبب الوحيد.. فأنا أتحمل جزءًا من إخفاقي، كان يتوجب عليّ النظر للأمور بإيجابية أكثر وبذل جهد مضاعف.

وبالرغم من صعوبة هذه السنة والضغط النفسي والجسدي الذي عشته إلا إنني كنت كلما تذكرت أنني صرت طالبَ طب يخف ذلك الضغط، وأجد متعة وراحة واطمئنانًا.

مادة علم وظائف الأعضاء

مادة علم وظائف الأعضاء (الفسيولوجي) كانت -إلى حد ما- جيدة، وفيها متعة لا بأس بها، ولدى إدارة القسم توازن بين إعطاء مذكرات والرجوع للمراجع العلمية.

أبرز من درّسنا الدكتور عباس الكارب من السودان، كان صوته جهورياً، وشخصيته قوية لطيفة، كنت أستمتع بحضور محاضراته

لم ولن أنسى تلك العبارة الذهبية التي أضاءت لنا الطريق العلمي بعد ذلك، أثرت تلك العبارة تأثيراً عميقاً على نظرتنا لفكرة المراجع العلمية.

كان يقول: «المراجع العلمية للمادة هي نفس فكرة الصحف! فحين يحدث حدثٌ ما؛ فإن كل صحيفة تنشره بأسلوبها. فالحدث واحد و لكن طريقة نشره مختلفة».

عبارته الشهيرة تلك كانت منصة انطلاق لنا في عالم المراجع العلمية، أصبحنا أكثر وعياً ومعرفة بأهمية تكوين مخزون معرفي طبي من مصادر رصينة

مادة الأحياء الدقيقة

مادة الأحياء الدقيقة والمناعة كانت تشمل عدة فروع، علم الفيروسات كان أبرزها. ليس لذاته ولكن لشهرة وتأثير أستاذنا المربي الفاضل والعالِم القدير الدكتور عوض مكي/ من السودان. غالبية الطلبة يعترفون له بالفضل في تحفيزه لهم واهتمامه بهم، وحرصه على تميزهم، ليس فقط في الطب بل في كل جوانب الحياة.

أما منهج علم البكتيريا؛ فكان يدرسنا فيه أستاذ مرح للغاية من نيجيريا، كان متقناً للمادة وقريباً من الطلبة.

مادة الكيمياء الحيوية

للأسف ما زلتُ حتى الآن متألمًا لكوني لم أستفد من هذه المادة كما ينبغي !

فهنالك العديد من المعلومات الأساسية في الطب احتوتها تلك المادة.. للأسف كنت فيها مهملاً، بل كنت لا أعطيها اهتماماً كباقي المواد !

من ضمن أساتذة المادة، الدكتور الشهير أيوب!

كل من في الكلية يعرفه، ليس بسبب تدريسه للمادة ولكن لاهتمامه المعروف بالتقنية !

عمل في تطوير بعض الأنظمة التقنية بالكلية، كنت أُعجب بكيفية استمتاعه بهوايته، لم يمنعه تخصصه من استثمار موهبته.

الدكتور وليد نيازي

أما الشخصية المؤثرة بقوة فيني وفي غيري؛ فقد كان الدكتور وليد نيازي من مصر.. وبصراحة أحتاج إلى كتاب كامل لأحكي لكم عن هذا الرجل!

كان مربياً فاضلاً قبل أن يكون أستاذاً أو طبيباً، ما زلت أحتفظ له بعدة مواقف راسخة في الذهن مغروسة في القلب، معلمٌ مثقف، واعٍ، واثق، متواضع

ابتسامته ولطفه وقوة شخصيته وبلاغته والكاريزما الملفتة التي كان يتمتع بها.. كل ذلك وغيرها لم تغادر ذاكرتي ووجداني!

كان يحرص أن يؤثر علينا في السلوك والوعي والمعرفة الحياتية؛ ليقينه أن ذلك هو الأبقى والأنفع، ومع ذلك أيضاً لم يهمل المادة العلمية

بعد الانتهاء من كل محاضرة يطالبنا بحفظ وفهم جزء محدد من الكتاب، ويأتي اليوم التالي ليختبرنا فيه بشكل كامل.

استمرينا على هذه الطريقة عدة أسابيع حتى انتهينا من الجزء الذي درّسنا إياه، وغالبية الطلبة يتقنونه بشكل غير معهود !

جاء الامتحان واستطاع معظم الطلبة حل غالبية أسئلة ذلك الجزء بكل أريحية.

خرجنا فرحين للغاية، بعد الامتحان شاهدته في الساحة الخارجية، ركضت نحوه، قلت له: « شكراً لك يا دكتور وليد على سهولة الأسئلة» فرد علي بردٍّ لم ولن أنساه ما حييت! ردٌّ يدل على ثقة وأسلوب تربوي

عميق.

قال بابتسامة: «بالعكس الأسئلة لم تكن سهلة على الإطلاق!! ولكنكم اجتهدتم وذاكرتم بشكل مركز وممتاز».

كنت أثناء الدراسة وبعد التخرج أزوره في مكتبه، أتلذذ بسماع نصائحه والتعلم من تجاربه والنهل من حِكَمه، سعادة لا توصف كنت أشعر بها معه!

البروفيسور محمد بن يحيى الشهري

كانت السنة الثانية مليئة بالمواقف الاجتماعية، صرت أكثر جرأةً وتواصلاً مع الآخرين.. زملاء/ أساتذة/ موظفين/ وغيرهم. كنت أشعر بامتلاء داخلي

منذ دخلت الجامعة وأنا أسمع عن شخصية قيادية تربوية أثرت في مسيرة الجامعة وغالبية منسوبيها وطلابها.. إنه البروفيسور محمد بن يحيى الشهري، أستاذ الجراحة العامة حيث عمل عميداً للكلية ثم وكيلاً للجامعة، وبعد فترة انتقل للعمل في مناصب قيادة في جامعات أخرى، يحظى باحترام كبير جداً.

بعد أن ترك العمل كوكيل للجامعة وقبل انتقاله، اتجه للاهتمام أكثر بالتعليم الطبي إضافة إلى تقديم محاضرات للطلبة في تخصصه.

ذهبت إلى مكتبه وحاولت الاقتراب منه والاستفادة من علمه وفكره وتربيته، كان معي في غاية اللطف. أعدّه أحد أهم قدواتي في الحياة خصوصاً في مجال القيادة والتخطيط.

ما تزال علاقتي به مستمرة منذ تلك السنة وحتى الآن، وفي كل مرة أجد منه التوجيه والاهتمام والنصح والتحفيز؛ فمجرد كلامه معي يعدّ أداة فعالة في شحن طاقتي وإقبالي على الحياة.

قيادة الدفعة

صمت

من أنظمة الكلية أن يكون لكل دفعة قائد (Group leader) تكون مهامه التنسيق مع المحاضرين وتصوير المذكرات، وإطلاع الطلبة على المستجدات وغيرها.

في الأيام الأولى من السنة الثانية لم نكن على معرفة جيدة بأهمية هذا الدور، وأذكر أنه خرج أمامنا أحد الزملاء من الدفعة السابقة ممن أعاد تلك السنة، طلب منا ترشيحه ليكون قائداً للدفعة، لم يكن الغالبية يهتمون لذلك ، كان معظمنا صامتاً، لم نعترض ولم نتشجع أصلاً لذلك !

كان زميلنا يبذل جهده مشكوراً في التنسيق مع المحاضرين ووضع المذكرات في المكتبة وغير ذلك، ثم بدأ يتضح لنا أهمية دور القائد في أمور أكثر أهمية

صرنا على وعي بالدور الأهم لقائد المجموعة، والمتمثل في المطالبة بحقوق الطلاب والتنسيق الجيد لمواعيد الاختبارات.

وكذلك محاولة إقناع الدكاترة بتحديد المنهج في الاختبار، والمطالبة بالحذف أيضاً للدروس الصعبة وغير المهم، وغيرها من أمور تحتاج جرأة!

زميلنا كان يبذل قصارى جهده وفق قدراته، لكن بدا واضحاً أن الطلبة بحاجة إلى جرأة أكثر في التعامل مع المحاضرين والإدارة!

اكتشاف

بعد مرور عدة أسابيع كان هنالك جدل وانزعاج من الطلبة حول جدول الامتحانات.. وجدت أنني أمتلك القدرة على المطالبة بما نريد، بذلت في ذلك حتى حصل لنا ما نريد. استمتعت كثيرا بذلك، لذة العطاء ملأت روحي، شعرت أنني أمتلك صفات فطرية قيادية لم أعرفها منذ عرفت نفسي!

تكرر هذا الموقف عدة مرات؛ مما دعا بعض الزملاء أن يطلبوا مني التدخل للحصول على حق معين للمجموعة وغير ذلك من أمور تتطلب جرأة وعلاقة قوية بالأساتذة.

وقبيل انتهاء ذلك الفصل الدراسي برزت في شخصيتي صفات قيادية لم أكتشفها من قبل.. إضافة إلى تطور علاقتي بالإدارة والأساتذة .

مما جعل غالبية الزملاء يطلبون مني الترشح لقيادة المجموعة مع كامل تقديرهم للقائد السابق، فكرت كثيراً في ذلك، ووجدت أنه من الأفضل أن أترشح.

كان لي هدفان أساسيان من ذلك: أولها، التلذذ بالعطاء وخدمة الآخرين. وثانيها، تطوير الجانب الإداري والقيادي في شخصيتي.

كانت فرصةً سانحةً أن أمارس وأتدرب على العديد من المهارات القيادية، قادني ذلك لمزيد من القراءة والالتحاق بعدة دورات في القيادة.

مهارات عدة استطعت تنميتها في ذاتي، منها: مهارة التفاوض والإقناع والتحدث أمام الجمهور، ومهارة التفويض وتوزيع المهام، وغيرها.

استمرت تلك التجربة بكل ما فيها من تميز وفشل حتى السنة الخامسة، حدث خلالها العديد من المواقف الطيبة والسيئة، حاولت بكل جهد أن أخلص نيتي وأخدم زملائي وأصحح أخطائي، نجحت تارة وأخفقت تارة.. وفي كل مرة أجد من غالبية الزملاء الدعم والمساندة.

ابتعاد

مع بداية السنة الخامسة بدأت ألاحظ في عيون وتصرفات البعض رغبتهم في ترشيح قائد غيري؛ رغبة منهم في تحسين الأداء وتطوير العمل.. في ذات الوقت كان هنالك زملاء آخرون يريدون مني البقاء وأكثروا علي في الإلحاح.

وقعت في حيرة، أريد أن أستمر في خدمة الزملاء.. في ذات الوقت أريد أن أفتح المجال لغيري، وبعد أيام وجدت أن هنالك من لا يريد سوى أن يذهب بندر عن هذا المكان تماماً بغض النظر عن نجاحه أو فشله!

أيقنت أن الأمور قد تصل إلى منحنى غير لائق، ووجدت من الأفضل أن أعلن رغبتي في ترك هذه المهمة وأن يقوم بذلك غيري.

فرح البعض وغضب آخرون. أما أنا؛ فكنت أعيش سلامًا داخليًا، ورضا عميق عن الفترة التي قضيتها في خدمة المجموعة وتنمية مهاراتي القيادية.

بعد ذلك وجدت أن قراري كان صحيحاً مئة بالمئة؛ حيث توفر لي وقت غزير وصار ذهني أكثر صفاءً ونفسي أقل ضغطاً، وتفرغت إلى جانب دراستي لإنجاز العديد من الأهداف والاستمتاع بها.

رأيت بنفسي!

حب السيطرة

كان لدى بعض الشباب جهد في مساعدة طلبة الثانوية الراغبين في دخول كلية الطب.. غالبيتهم يُنظر إليهم - بتوهم - على أنهم أكثر تديناً من غيرهم، سواء بسبب الشكل أو أمور أخرى!!!

فكرة مساعدة الطلبة جميلة جداً وفعالة للغاية، ولكن مع الوقت اكتشفت وغيري أن غالبية أولئك لديهم حب السيطرة على الآخرين، ولديهم شعور بالفوقية!

هذا الشعور لا يمكن أن يعترفوا أو يتحدثوا به، ولكن سلوكيات غالبيتهم اللاحقة ترجمت ذلك صراحة !

وبالطبع لم يكن الجميع كذلك، ولكن النسبة العظمى منهم!

حين كنت أدرس في المرحلة الثانوية كانت لي علاقة ببعض طلاب كلية الطب بأبها.. بعضهم كانت له بصمات عظيمة في حياتي، ولهم فضل - بعد الله- في أمور عديدة.. ولكن الأغلبية على العكس تماماً!

ما بعد التغيّر

إلى قبل يوم ٢٦ شوال ١٤٢٦هـ كنت ممن لديه اطلاع فكري وطموح ورؤية للحياة.. ولكن كنت – للأسف – بعيدًا نوعاً ما عن التدين.

إلى قبل ذلك التاريخ – وأنا في السنة الأولى في الكلية – كنت ألتقي ببعض الطلاب ممن هم في سنوات متقدمة .والغريب قبل ذلك التاريخ أن الغالبية العظمى منهم كانوا يتعاملون معي باحترام كبير وبلطف وبابتسامة، ويعطوني اهتماماً كوني شاركت مع الموهوبين ومن ضمن الطلبة الذين لديهم إنجازات، ويظهرون اهتماماً أيضاً بي كقارئ وكاتب له مقالاته المنشورة.

في ٢٦ شوال ١٤٢٦هـ قررت أن أعفي لحيتي وأقصر ثوبي وأمتنع عن سماع الموسيقى، كنت حينها أكثر ارتياحاً للأخذ بأقوال العلماء الذين أوجبوا ذلك، لاحظ بعض أولئك ذلك التغير، وبصراحة، لقد صدمت كثيراً بالتغير الكبير المتدرج في تعاملهم معي!

بدأت ألاحظ أنهم يريدون أن يوصلوا لي رسالة واضحة مفادها: «إن من هو متدين قبلك، ويدرس قبلك في الكلية؛ فهو أعلم منك في كل شؤون الحياة!!!»

لم يقولوا ذلك صراحةً، ولكن ما حدث بالفعل كان هذا معناه – من وجهة نظري – !

ضمور قيم

حين اقتربت من بعضهم أكثر؛ وجدت أنهم يركزون على بعض الأحكام الشرعية ويهملون الكثير من القيم !

أغلب القيم لم أجدها في تصرفاتهم: الاحترام، والتواضع، والوفاء..

وغيرها قيم غابت عند بعضهم، يركزون على بعض الأحكام الشرعية ويرونها الدين كله!

لحية، وثوب قصير، وترك للموسيقى، والبقاء مع المجموعة، من أهم معايير التدين لديهم، هي مقاييس يسيرون عليها في كثير من الأحيان دون اعتبار لوجود خلاف بين العلماء حول ذلك .

صحيح أنهم لا يتحدثون بذلك، ولكن تعاملهم وطريقتهم أكبر دليل وبرهان على تقديسهم لتلك الأمور وأنها لا تقبل الاختلاف إطلاقاً!

بالطبع ليس كلهم كذلك، ولكن أغلبهم.

صرت أتصادم مع بعضهم، خصوصاً أولئك الذين نصّبوا أنفسهم وعيّنهم غيرهم أساتذة لي، ومربين أيضاً!!

كانوا يرون أنفسهم ناضجين فاهمين، وأن غيرهم دائماً بحاجة إليهم !

عداوة

ازدادت وتيرة معارضتي لكثير من تصرفاتهم وطريقة تفكيرهم، كان بعضهم يرى نفسه أكثر معرفة بالدين من غيره . حتى لو كان داعيةً معروفاً أو مفكراً كبيراً، خصوصاً إذا كان من المشاهير والمؤثرين !

اتضحت معالم تفكيرهم ووعيهم القاصر وأعمالهم البائسة، لاحظت تذمراً من بعض من هم في مرحلتي، لكنهم فضلوا الصمت والسباحة كالسمك الميت مع التيار!

يقول ديفيد فيسكوت: «عندما يتلاعب بك الآخرون؛ فإن هناك من يحاول التحكم فيك، هناك من لا يريدك أن تكون حراً في إبداء آرائك، أو أن تعبر عن أحاسيسك أو قراراتك.

عندما تشعر بأنك تُستغل، فقط افعل ما تريد فعله، كن طبيعياً تجاه هذا الوضع ولا تهول الأمر على نفسك، فقط قل لنفسك: إنني أفعل ما أريد. هل هناك خطأ في ذلك؟ افعل ما يحلو لك دون أن تنظر خلفك أو تنتظر تصريحاً.

إذا كان هناك من لا يريدك أن تعيش حياتك بالطريقة التي تحلو لك.. فلمَ يجب أن تكلف نفسك عناء الإنصات له؟!».

ترك

أسابيع قليلة ثم تركتهم من غير أسفٍ عليهم، تركت لقاءاتهم وأنشطتهم السطحية التقليدية!!

واجهتني عاصفة رديئة من محاولة تشويه السمعة، واتهامي بأني غير مؤهل للتأثير والنجاح؛ فمن تصرفاتهم وردود أفعالهم يعتقدون أن البناء الذاتي الرصين لن يكون إلا معهم وتحت وصايتهم!

ويزعمون بأن ما أقوم به من قراءة فكرية وكتابة ورغبة في التأليف ما هي إلا نزوات للشهرة!!

كنت أشعر بالغربة الفكرية بينهم، يريدون من كل شخص أن يكون له نفس اللون الذي يُعرفون به !وأي محاولة للاختلاف في الرأي أو وجود أهداف غير رؤيتهم القاصرة يرون ذلك خروجاً عن النسق المتزن الملتزم المتدرج!

اتضحت عداوتهم، أصبحت في نظرهم الشاب المتهور البعيد عن الالتزام الصحيح.. المضيع لطريق الناجح !

يقول ديفيد فيسكوت: «إنك في حاجة لأن تكون حراً كي تختار الطريق الصحيح لنفسك، وذلك الطريق هو الطريق الذي يقودك لأفضل شيء لديك. إن كل ما يهم هو أن تصبح شخصاً حراً في تقرير الوجهة التي تريد الذهاب إليها، والطريقة بسيطة: تصرف بحرية وسوف تجد الحرية بين يديك.

إن كونك حراً يعني كونك واقعياً. فإذا أردت أن تكون حراً؛ فأنت في حاجة لأن تعقد صداقات مع الحقيقة. ومهما كان مدى الوضوح الذي تستطيع به أن تكشف عن القوى التي تقف في سبيلك؛ فإن أهم العوائق التي تقف في طريق حريتك توجد بداخلك. إن ما يحدد مدى الحرية التي تتمتع بها هو الحرية التي يتمتع بها قلبك».

وما زالوا

كان يُروجون لفكرة أنني باحث عن الأضواء، وهم يعرفون جيداً أنني لو أردت الشهرة لذاتها فطريقها سهل سريع، ولكن قصر نظرتهم وبؤس وعيهم حاجز عن رؤية معاني التأثير!

لم يقتصروا على ذلك، بل صاروا يحذرون أتباعهم الصغار مني، مواقف عديدة كشفت ذلك؛ مما يدل على غبائهم!

عزلة وقراءة

دخلت في عزلة طويلة، عزلة أراجع فيها خطواتي، وأتخلص من بقايا إساءاتهم.. دخلت في عزلة لأعيد فحص أفكاري وزيادة مخزون معرفتي بالحياة .

كنت أسكن مع أهلي في خميس مشيط، لكني قمت في تلك الفترة باستئجار شقة في أبها.. محاولةً مني لقضاء وقت طويل في التأمل والتفكير والقراءة

صرت أقرأ بوعي أكبر وإدراك أعمق، قرأت عشرات الكتب الفكرية والفقهية، كنت أقضي ساعات طويلة جداً بين الكتب.

بدأت أشعر أن فهمي للدين والتدين صار أعمق، كنت أحاول فهم الجوهر في حين أن معظم أولئك يهتمون - غالباً - بالمظهر !

يقول ديفيد فيسكوت «عندما تجد نفسك؛ فإن شعورك بالعزلة هو امتياز وليس عقاب. إن كل العمل الجيد الذي تقوم به يأتي عندما تكون بمفردك. إن كل أحلامك تراودك عندما تكون بمفردك.

إن أفضل أفكارك يتم التعبير عنها أثناء العزلة.. إن حلمك بالعالم أفضل وإسهاماتك فيه سوف يأتيان أيضاً عندما تكون بمفردك.. إن إبداعاتك ومبتكراتك، وحلولك لأكثر المشكلات إرباكاً لك، كلها تخطر لك عندما تكون منعزلاً

تستطيع أن تكون متلقيًا جيدًا لسكون صوتك الداخلي فقط عندما

تكون منفرداً بنفسك. إن هذا الصوت هو الذي يخبرك بما تحتاج أن تعرف، إنه اتجاهك الداخلي، وقلب روحك المصاغ في كلمات.

إن هذه العزلة هي المكان الذي يُبعث منه إبداعك وتميزك. إنك تستمع إلى الموسيقى وترى الفن على أوضح ما يكون وأنت بمفردك.

إن الأشياء التي تأخذها من هذا المكان تدعم روحك بالسمو.. وتملؤك بعزيمة جديدة. تعلم كيف تحب أن تكون مع نفسك. إنه أعلى مكان يمكنك أن تتطلع إليه».

الدكتور عبدالكريم بكار

وسبحان الله، كيف أنه فتح لي بابا لا يحلم به أحد من أولئك، حيث قويت علاقتي بشكل سريع وملفت بالمفكر الإسلامي الكبير الأستاذ الدكتور عبدالكريم بكار..

المعروف بفكره النهضوي العميق وصاحب الحس التربوي المؤثر، وصلت علاقتي به إلى حد أنه يعتبرني أحد أبنائه، صار لي مربياً موجهاً، وقف معي بشكل عظيم.

بدلاً من أكون تابعاً لشخص يكبرني بسنوات قليلة جداً وصاحب فهم قاصر وفوقية مقيتة صرت طالباً في مدرسة فكرية وتربوية عظيمة.

ساندني في مسيرتي، ووجهني للطريقة المثلى في التفكير وبناء النفس وتربية الذات.. أخبرته بكل ما لقيته، دعمني بشكل كبير.

تضاعفت ثقتي، وصرت أتعلم منه عن قرب، وأقضي معه وقتاً طويلاً وأرافقه في مناسبات فكرية واجتماعية عديدة، كما شجعني وبقوة على الكتابة والتأليف.

وقدم لي كتابي الأول (نهضة إنسان) كما دعمني إعلامياً، حيث شاركت معه في عدة لقاءات تليفزيونية.

وبالطبع فقد شعر بعض أولئك بعدم رضا وتمنوا ألا تستمر تلك العلاقة، و دليلاً على ذلك حدثت مواقف أقرب إلى السخافة أعتذر عن سردها!

طريق مختلف

حسمت أمري وعرفت طريقي ومنهجي ، أما أولئك فليسوا كلهم أصحاب سوء، كان من بينهم عدة أشخاص أوفياء محفزون علاقتي بهم طيبة وممتدة حتى الآن

مضت السنوات وصرت أكثر فهماً للحياة وحققت شيء من أحلامي التي كادت تموت في حضرتهم !

تكثفت قراءاتي الفكرية والفقهية، واطلاعي على آراء مختلفة في قضايا مختلفة.

صرت أكثر تقبلاً للآخرين، وأكثر تمسكاً بأهدافي، مضيت فأصبت حيناً وأخطأت حيناً

حقيقة

منذ عام ١٤١٣هـ أي منذ الصف الأول الابتدائي وحتى دخولي الجامعة وأنا منتظم في حلقات تحفيظ القرآن، والمراكز الصيفية، وقد حفظت القرآن - بفضل الله - ومعرفتي بالوسط المحافظ طويلة جداً تمتد لأكثر من عشر سنوات، وللكثير من المربين الأفاضل فضل لن أنساه بداً، ولكن في الجامعة كان الوضع مختلفًا تماماً!

من القلب

وفي هذه اللحظة هنالك شباب كثر يعانون مما عانيت وغيري منه؛ ولهذا أقول لهم بكل وضوح

«هي سنوات قليلة، ابتعدوا عن مواطن التقزيم والتثبيط والوصاية.. اقتربوا من العقلاء، ولا يهمهكم عداوة المتخلفين، سنوات قليلة ثم تتخرجون من الكلية وتفتح لكم الفرص والنجاحات، ولن تجدوا منهم ما يرقى لطموحاتكم. العزلة خير منهم.. ومصادر التربية والمعرفة واسعة وليست محصورة عندهم. اصبروا قليلاً وسوف تكونون كما تريدون».

يقول ديفيد فيسكوت: « إن التبرير الوحيد الذي تحتاجه كي تعمل أي شيء تريده هو ببساطة: أنا أريد أن أفعل ذلك!».

إن التبرير الوحيد الذي تحتاجه لعدم فعلك شيء لا ترغب فيه هو ببساطة: أنا لا أريد أن أفعل ذلك! سوف يفهم الذين يحبونك ذلك، ولن يفهم ذلك من لا يحبونك.

لستَ بحاجة لإقناع أي شخص بأي شيء؛ ففي الواقع إنك لا تستطيع أن تقنع أولئك الذين لا غاية لهم سوى السيطرة عليك بأي شيء!!

حدد الأشياء المفضلة لك بشكل مباشر وواضح، ثم فكر فيها.. إن الذين يعارضون قرارك يريدون فقط فرض آراءهم والأشياء التي يفضلونها.

إنك لن تعترض إذا قام الآخرون بعمل ما يرغبونه. قد لا تحب ذلك

أو حتى توافق عليه، ولكنك تؤمن بأن الآخرين لهم الحرية في أن يحيوا حياتهم بالطريقة التي تروق لهم. ومن العدل أن تكون مثلهم تماماً.

احفظ هذين المبررين عن ظهر قلب: « أنا أريد ذلك» و «أنا لا أريد ذلك» إنك لست في حاجة إلى مبررات أو أعذار لتكون ذاتك!

إنك قوي بقدر أقصى قوة لديك.. إنك دائماً أقوى من ضعفك. إن قوتك دائماً حقيقة واقعة. أبداً لست أضعف من قوتك.. إنك فقط تنسى كل ذلك في بعض الأحيان».

بعد العاصفة !

تأقلم

جاءت السنة الثالثة بعد هدوء عواصف عدة.. منها: التحويل لكلية الطب، وبداية قيادتي المجموعة، وتجربتي مع أولئك الشباب.

الجانب الأكاديمي كان مختلفاً؛ فقد أصبحنا نعرف - إلى حد ما- طريقة الدراسة.. وصارت المواد أكثر سهولة مما سبق.

السنة الثانية هي أكثر السنوات صعوبةً وتعقيداً في معظم كليات الطب في العالم، وهي عتبة لبوابة الطب، وبمجرد أن أنجاني ربي منها كان ما بعدها أسهل !

شملت السنة الثالثة مادة علم الأمراض، ومادة فسيولوجيا الأعصاب، ومادة تشريح الرأس والعنق، ومادة علم الأجنة.

مادة علم الأمراض

مادة علم الأمراض قد تكون المادة الأكثر أهمية؛ فبعد أن درسنا في السنة الثانية وظائف الأعضاء، ندرس الآن الاختلال في عمل الأعضاء.

كانت درجة صعوبتها أقل بكثير من مادة التشريح في السنة الثانية، ولوجود عدة أساتذة لكل جزء منها جعل منها مادة أفضل من غيرها.

استمر عملي كقائد للمجموعة، وكنت أركز كثيراً على مطاردة الدكاترة في الممرات والمكاتب ليحددوا لنا المنهج في الاختبار ونعدل المواعيد وغيرها..

درّسنا في علم الأمراض عدة أساتذة منهم أستاذ باكستاني، كان يُدرس في اليابان.

ودائماً يقارن ما بيننا وبينهم من حيث الاجتهاد.

مشكلة ذلك الأستاذ حبه الشديد لحشو المعلومات، وما زلت أتذكر كيف كانت الشرائح المعروضة مليئة جداً بالتفاصيل.. وتصعب أحيانا قراءتها !

كان يتكلم كثيرًا، يطيل ويتجاوز الوقت!

كنت أضع منبهًا عند نهاية الوقت ثم أؤشر له!

مادة التشريح مرة أخرى

مادة التشريح في السنة الثالثة كانت أجمل وأسهل بكثير من السنة الثانية، من أسباب ذلك اللطف والبساطة اللذان كانا يميزان أساتذة المادة

كان يدرسنا الدكتور محمد عاطف والدكتور جافيد، لا يمكن أن أنسى جهدهم وطيبتهم. كانا لنا كالإخوة.. رائعين متعاونين، حببا لنا المادة.

مادة علم وظائف الأعصاب

أما مادة علم وظائف الأعصاب؛ فقد درسنا دكتور سوداني كبير في عمره، كبير في أخلاقه ولطفه وأدبه، كان يشرح بهدوء ووضوح، الكل كان يحترمه ويجله.

أحببت مادته بجنون خصوصاً حين كان يشرح لنا عن الدماغ ووظائفه، شعرت أنني أميل لمعرفة أكثر من ذلك الإعجاز الرباني المذهل!

مادة علم الأجنة

أما مادة علم الأجنة؛ فقد كانت بالنسبة لمعظمنا مجرد ألغاز غير معروفة الحل! رموز وطلاسم! مع أن الأستاذ كان يحاول مشكوراً تبسيطها لنا.

السُّمْ

المقارنة.. ذلك السم الذي كان يتجرعه غالبية الطلبة، ذلك السم المهلك المحبط المثبط.. كان سبباً لتفتيت مشاعرهم وتقزيم رؤيتهم لذواتهم !!

في تلك السنة برزت المقارنة السلبية بشكل لافت جداً، كان معظم الطلبة يتسابقون لرؤية ليس درجاتهم فقط، بل درجات غيرهم !

البعض لا تهمه درجته، الأهم هو أنها أعلى من درجة فلان وفلان!

والبعض لا يرى درجته ممتازة، إلا إذا تجاوزت درجة فلان أو كانت قريبه منها!

حتى وإن كانت درجته عالية؛ فقد يتأزم ويتضايق إذا كانت أقل من فلان!

تسببت تلك العادة السيئة في تحطيم المعنويات، وتثبيط الهمم !

العلاقات

أهلي

منذ أن بدأت المرحلة الابتدائية وحتى التخرج من الجامعة.. لم أُتعب أهلي معي أبداً فيما يتعلق بالاهتمام بالتعلم والحرص على الدراسة وتطوير الذات.

وبعد أن عاشوا معي تلك الفترة الصعبة في بداية دخول الجامعة، قررت ألا أدخلهم مرة أخرى في مشاكلي؛ حرصاً على مشاعرهم، ودعوت ربي أن يعينني على تحمل ذلك وحدي!

وهذا ما حدث بالفعل؛ فكل ما عانيته في أثناء دراستي في الكلية فيما يتعلق بالدراسة وغيرها، لم أُشعرهم ولم أخبرهم بأي شيء عنه، كنت أريد ألا يسمعوا مني سوى الأخبار السعيدة.

ولهذا فسوف يفاجؤون ببعض القصص التي أوردتها في هذا الكتاب!

لقد عشت مشاكل عويصة ومؤلمة، ولكن ربي رزقني قدرةَ تحمل هائلة، وصبرًا قويًا ولله الحمد، وأدعو ربي دوماً أن يجعلني كذلك حتى ألقاه.

كنت أحرص ألا تكون دراستي في الكلية حاجزاً ضد ما يحتاجه أهلي مني، أرتب وقتي جيداً - قدر الإمكان - حتى لا أقصر معهم، وهم كانوا دائماً يحرصون على وقتي.

كانت أمي تحتاج الذهاب للسوق، في ذات الوقت لا تريد إشغالي عن دراستي؛ فكنت - وليس لي فضل أبداً - أذهب بها لتتسوق وتشتري

ما تحتاج، وخلال ذلك أحمل معي بعض المذكرات، صار منظري مع الأوراق مألوفاً لدى بعض العمالة في الأسواق التي تكرر ذهابنا إليها!

ومع أني أمكث معها وقتًا طويلاً، وقد يكون لدي امتحان في اليوم التالي إلا أنني أجد أن ربي قد سهّله علي، دون مجهود يذكر!

أعلم أن ذكر ما سبق قد لا يكون ملائمًا؛ فليس للابن أي فضل تجاه أهله، ولكني أردت من ذلك أن أرد على أولئك الطلبة الذين يرفضون خدمة أهاليهم والتعذر بالدراسة المتعبة، بينما تجدهم أغلب الوقت مع زملائهم يمرحون ويتمشون!

مهما كان لدى طالب الطب أو طالبة الطب من ضيق وقت بسبب الدراسة؛ فحتماً سيكون هنالك وقت كبيراً جداً للبقاء بجوار الأهل والتقرب إلى الله بالإحسان إليهم وخدمتهم.

الأصدقاء

المرحلة الجامعية هي أقوى مرحلة لتكوين علاقات وصداقات قد تمتد للأبد، بخلاف المراحل الأخرى السابقة واللاحقة .

أنس الشهري

كوني كنت قائداً للمجموعة؛ أُتيح لي التعرف بشكل عام على العديد من زملاء الدفعة.

بعد إحدى محاضرات مادة علم الأمراض، اتجهت نحو المواقف. لاحظت أحد الطلبة متضايقًا! اقتربت منه، وبدون مقدمات توجهنا لأحد المطاعم نتغدى.

كان هذا أول موقف يجمعني بالصديق الحميم أنس الشهري ، ومنذ تلك اللحظة بدأت قصة علاقة أخوية ما تزال تتلألأ رغم بعد المسافات واختلاف الاهتمامات.

كان أنس وقتها خرج لتوه من تجربة حياتية قاسية، عزلة فرضها على نفسه وفرضتها عليه الظروف؛ فكل إنسان قد يركن للوحدة بعد التجارب المؤلمة !

كنا نلتقي.. نذاكر، نفضفض، نتحادث.. لا يوجد توافق في الاهتمامات لكن يجمعنا ما هو أعمق؛ فالإنسان يحتاج إلى احتواء اجتماعي مهما اختلفت الاهتمامات.

السنة الثالثة من أجمل السنوات، ما زلت أتلذذ بذكراها.. الضحكات معه تخفف من ضغط الدراسة، البساطة وعيش اللحظة شيئان لم نتخلَّ عنهما.

في السنة الرابعة، كان الحدث الذي عمّق علاقتنا بشكل قوي جدًا!

كان حدثاً مؤلماً، لكن بعض المصائب تجلب معها فوائد عدة !

ففي أحد الأيام وصلني اتصال من جواله، تبسمت وأنا أمسك الجوال ظنا مني أنه يريد أن نلتقي تلك الليلة، سمعت أحدهم يقول كلامًا غير مفهوم ثم أنهى المكالمة!!

لم أعد أستطيع الوقوف على قدمي! كررت الاتصال.. لا يوجد رد! توجهت مباشرة بدون أي تردد وبسرعة جنونية إلى مستشفى عسير!

قادني حدسي إلى هناك.. أركض في ممرات المستشفى..

ألتفت يمنة ويسرة!

فجأة رأيت أحد زملائه يمشي وثوبه ملطخ بالدم! وإذا بي أرى أنس مستلقيًا على السرير والدم يلطخ جسده! منظر ما يزال محفورًا في ذاكرة أحزاني، لا يعرف شدته إلا من عاش موقفا شبيهاً بهذا الموقف!

اقتربت منه، حاولت التحكم بمشاعري وأعصابي، أوصلوه إلى قسم الطوارئ، سألته عما جرى، أخبرني بأنه كان راكبًا مع زميل في سيارته.. فجأة إذا بأحد زملائه يندفع إليهم بسيارته مازحا !

فلم يتمكن من السيطرة على سيارته حتى ارتطمت السيارتان وجهاً لوجه!!

لم أنسَ ذلك المشهد الذي حكاه لي؛ ففي اللحظة التي جاء الإسعاف لإنقاذه صار يصرخ ويخبرهم برقم هاتفي لأجل أن أتجه إليه!

تعرض لكسور في كلتي يديه.. لم يعد قادراً على تحريكهما، مكث في المستشفى عدة أيام.. بقيت معه منذ دخوله وحتى خرج.

صحيح أنها كانت أيامًا مؤلمة عصيبة، إلا أنها حملت في جوفها الخير الكثير؛ ففي جوف كل مصيبة تكمن فرصة ليس الكل قادرًا على رؤيتها!

فرحنا بخروجه من المستشفى، لكن بدأت تتضح مدى صعوبة الوضع! فهو لا يستطيع تحريك يديه، مثبتة بالجبس، في ذات الوقت كان عندنا اختبارات!

كان ذلك في السنة الرابعة، مرت به لحظات إحباط، خصوصا أن بعض من يزوره يسأله: «كيف راح تقدر تكمل؟ هل ستحذف السنة؟!! كيف ستذاكر؟»

كنت أشجعه وأطلب منه ألا يلتفت إلى كل ذلك، وقررت البقاء معه في المستشفى ومنزله حتى يشفى ويستطيع الاعتماد على نفسه وينجح في تلك السنة.

كان ذلك من أصعب القرارات في حياتي.. كيف يمكنني أن أسهم في تجاوز هذه الأزمة! كان أهم هدف لدي ألا يتسبب الحادث في أن يعيد أنس تلك السنة!

كانت لدينا مادة علم الأدوية ومادة طب المجتمع. الأولى كانت من أصعب المواد في الكلية، وتحتاج دراسة وفهمًا وحفظًا مكثفًا!

تحمّس أنس لإكمال تلك السنة، كنت أزوره يومياً في بيته وأبقى معه حتى ينام، نذاكر سوياً. لم يكن يستطيع مسك الورق! لا يستطيع تحريك يديه.. كنت أقلب له الورق والكتاب.

بقينا على هذا الحال عدة أسابيع، حتى جاء موعد الاختبارات، تفاعل الأساتذة معه، هُيئ له الوضع المناسب ليؤدي الامتحانات.

وبتوفيق من الله تجاوز أنس كل الامتحانات بنجاح مميز، وتخطى تلك العقبة التي كادت تكسر قارب طموحه، انتهت تلك السنة العصيبة وشفي تماماً بعد شهرين.

ذهل الجميع من إصراره رغم ظروفه، تعمقت العلاقة بيننا بشكل مضاعف جدا.

لقد كانت فترة صعبة، ولكن لولا قسوة التعب لما استمتعنا بالنجاح.

استمرت العلاقة منذ ذلك الحين وحتى الآن، وطوال فترة الدراسة كنا نلتقي شبه يومياً ونساعد بعضنا في المذاكرة، نمشي كثيرا في الممشى، نشجع بعضنا، ونأنس ببعض.

تخرجنا وأنهينا تلك السنوات بكل ما فيها من فرح وحزن وفرحة وغضب..

تفرقنا، كل منا مضى يركض وراء حلمه، وبقينا على تواصل دائم، له علي أفضال عديدة يصعب حصرها.

السنوات تمضي وكلانا نحو أهدافه يسير، بعد سنوات قليلة سيصبح أنس استشاري أذن وأنف وحنجرة بإذن الله تعالى.

عبدالله العلكمي

لكل شخص منا شيء ما مشترك مع صديق، وهذا هو ما يجعل تنوع الأصدقاء أمرٌ جميل وممتع.

عبدالله العلكمي صديق من نوع مختلف، وكسائر العلاقات الاجتماعية تبدأ تدريجياً إلى أن تأتي مرحلة أو حدث فيقطع تلك العلاقة أو يقويها.

تعمقت علاقتي به حتى وصلت إلى مرحلة عميقة، يمتلك حسًا اجتماعيًا تطور مع السنين. لديه انتماء رائع لوالديه وإخوته، تعلمت منه الكثير وما زلت، سافرت معه كثيراً.. سكنا سوياً، حصلت بيننا عشرات المواقف المضحكة والتي كانت تخفف كثيرا من ضغوط الدراسة !

لا أمل من سماع حكاياته، نسخر من سلبياتنا، تعمقت العلاقة بين أهلي وأهله، صرنا كالأشقاء فعلاً

في حياتنا الجامعية نتعرض لمواقف مؤلمة وتضيع منا فرص كنا ننتظرها كثيراً.. ولكن لا نعلم أهي خير لنا أم لا؟ !

في سنة الامتياز كان عبدالله محتاراً أي تخصص يختار.. أحبَّ تخصص جراحة العظام مع أني كنت على يقين أنه لا يناسب شخصيته !!

تمسك برأيه، فُتح باب التقديم عبر الإنترنت ، وكانت الحيرة تمنعه من المبادرة بالتسجيل ثم قرر أخيرا أن يسجل في آخر يوم !

بعد مغرب أحد الأيام اتصل بي وهو في قمة تأزمه وغضبه وحزنه وتحسره!! أخبرني أنه للتو استيقظ من نومه وقد فاته موعد التقديم !

حزَنَ حزناً عميقاً، اعتقدَ أن ما فاته كان هو الخير كله، مع أني كنت

متيقنًا أنه خير.

مرت فترة قصيرة ثم تقدم لتخصص الطب الباطني، وقُبل فيه، ولم تمض سوى أشهر قليلة حتى شعر بالفرح والراحة لعدم تقديمه على تخصص العظام !!

وهكذا هي الحياة، نحزن ونتألم حين لا نتمكن من الحصول على ما نريد.. ولكننا نغفل أحياناً عن أن الإنسان لا يدري أين يكمن الخير !!

من الرائع أن يخطط الإنسان ويمضي نحو تحقيق أهدافه ويستمتع بذلك، ولكن الأهم أن يدعو الله دوماً أن يختار له الخير أينما كان، وأن يرضيه به.

عبدالله الآن يمضي بإتقان لتحقيق حلمه للحصول على درجة استشاري في الطب الباطني.

عادل عواض

من الطبيعي ألا نكتشف أن بعضَ من يقاسمنا مقاعد الدراسة أو بيئة العمل يشاركوننا ذات الاهتمامات، أو يكون لديهم الاستعداد الفطري لذلك

في أحد أيام السنة الرابعة دخلت القاعة قبل إحدى المحاضرات، رأيت بعض الزملاء يناقشون قضية فكرية، لاحظت من بينهم أحد الزملاء يناقش بذات المنهج الذي أنتهجه!

عادل عواض، تفاجأت بأن لديه استعداد عقلي ليكون مفكرًا، كانت

علاقتي به سطحية.. وطوال تلك المحاضرة وأنا أفكر كيف يمكنني الاقتراب منه أكثر!

كان يود أيضاً أن نقوي علاقتنا، مضينا بعد المحاضرة إلى خارج الكلية، تناقشنا قليلاً وجدنا أن بيننا انسجام فكري ونفسي أيضاً!

كانت تلك لحظة إشعال فتيل علاقة عميقة متينة امتدت منذ ذلك الحين وحتى الآن، وما تزال في قمة توهجها واشتعالها

كانت تلك الفترة تمثل قمة الاختلاف الذي حصل بيني وبين أولئك المجموعة الذين يريدون مني ومن غيري أن نتبعهم كيفما أرادوا!

تحسس البعض من تلك العلاقة مع عادل، لا أدري لماذا! البعض يعتقد أن علي ألا أؤثر على أحد أو أتأثر بأحد!

في تلك السنة كنا نلتقي بشكل دوري، وكان ممشى أبها شاهداً على تلك الحوارات والنقاشات التي كانت تمثل بناء عميقاً للشخصية وإنضاجاً للتفكير.

اقترب عادل أكثر من عالم الفكر والفلسفة إلى جانب مجال الاقتصاد الذي كان وما يزال محور اهتمامه.. كل ذلك ينساب بمرونة إلى جانب دارسته للطب

مرت فترة قصيرة تأثر خلالها مستواه الأكاديمي، نتيجة طبيعية لانغماسه في تلك العوالم الجديدة، مع أني كنت موقنًا أن تلك سحابة طبيعية ستمر سريعاً.

كان بعض أصحاب السخافة والحمق ينتظرون فرصة كهذه، من أجل

أن يبرهنوا أن تأثيري عليه وتأثيره علي كان سلبيًا!

فترة قصيرة حتى استعاد عادل توازنه بين تخصصه واهتماماته، وأكمل طريقه.

مضت السنوات، وازن عادل بين الفلسفة والاقتصاد والطب وحياته الخاصة، أبدع ونجح، بدأ بنشر مقالات، ثم أصدر كتابه (إيقاظ الوعي).

ساعده ذلك الإنتاج المبكر على الاستمرار والمتابعة في بناء ذاته وتطويرها، توالت السنوات، تخرج عادل من الكلية، ثم تخصص في طب الأطفال، ثم تزوج.

وما يزال يمضي في طريقه نحو تحقيق أحلامه.. إنسان متسامح مع نفسه ومع الآخرين، صاحب وفاء منقطع النظير، يعيش في سلام داخلي عميق.

وآخرون

طوال فترة الدراسة تعرفت على العديد من الزملاء الأوفياء الأنقياء، كان التعاون وفعل الخير لبعضنا البعض سمة بارزة، قد لا أستطيع ذكر كل الأسماء وسرد كل القصص والحكايات، ولكن يكفي أننا وإن افترقنا، إلا أن ذاكرتنا حفظت كل موقف نبيل وذكرى حسنة.

يقول ديفيد فيسكوت: « إن الأصدقاء يتتابهم نفس الشعور بسرعة التأثر. فالناس غالباً ما يصبحون أصدقاء عندما يعانون معاً موقفاً عصيباً.. يصبحون أصدقاء لأنهم يتقاسمون نفس الخسائر، ونفس درجة اليأس ونفس الشعور بعدم الاستقرار، يتشاركون في نفس المخاطر؛ لأن

الخوف يجعل الناس على درجة من الترابط والتقارب.

عندما تعقد صداقات، سوف تختار هؤلاء ممن تستطيع أن تتفهم ردود أفعالهم العاطفية والانفعالية، والذين تبدو لك مشاعرهم وعواطفهم صادقة لا يشوبها أي زيف.

عليك أن تعرف أن صداقاتك تجعل منك شخصاً حساساً، وتعد دليلاً على كونك إنساناً !».

السنوات الإكلينيكية..
التنوع!

عالم مختلف

معظم الطلاب يحبون السنوات الإكلينيكية، حيث يجدون أنفسهم أقرب إلى تخصصهم وإلى تحقيق حلمهم بالعمل كأطباء في المستشفيات.

مما يميز هذه السنوات عن ما قبلها هو جمال التنقل بين فروع وتخصصات الطب.

من السنة الرابعة بدأنا ندرس كل تخصص لمدة شهرين تقريباً، ثم نختبر فيه وننتقل لتخصص آخر، كما كان الحال في النظام السنوي القديم.

دخلنا هذا العالم المختلف، ومع أن الغالبية منا كانوا ينتظرون هذه الفترة إلا أنها كانت تتطلب مهارات دراسية مختلفة تماماً عن السنوات التحضيرية والأساسية.

كان يتوجب على الطالب إتقانًا أكثر لمهارة استخدام المراجع الطبية، واعتمادًا أكثر على النفس في التعليم الذاتي المستمر.

وهذا ما جعل مستوى بعض الطلبة يتذبذب، في نفس الوقت استفاد البعض من ذلك فطوّروا مستوياتهم.

مادة الطب الباطني

بدأنا بمادة الطب الباطني، كان يُدرّس لنا لمدة شهرين على مدى السنوات الثلاث الأخيرة.

ركزنا على عدد من المعلومات والمهارات؛ ففي السنة الرابعة كان التقييم يعتمد على الاختبار النظري والشفهي.. أنهينا الاختبار النظري.

بدأنا نحسب كم نحتاج من الدرجات لكي ننجح! وبالطبع صارت هذه هواية ومهارة للغالبية منا، وصرنا خبراء فيها فيما بعد! ثم أتى الامتحان الشفهي، وما أزال أتذكر كيف كنا في غرف الانتظار.. الخوف يخنق الغالبية، نعيش بين أمل ويأس! كان الامتحان عبارة عن عدة محطات، في كل محطة يجلس الطالب أمام أحد الأساتذة ويجيب على أسئلته شفهياً، ثم ينتقل إلى الأستاذ الذي يليه وهكذا.

يتوجب على الطالب في الفصل الأول من الطب الباطني إتقان عدة مهارات أساسية.. من أهمها: مهارة التشخيص المبدئي، وعدد من الفحوصات الأساسية.

إتقانها يجعل الطالب أكثر قدرة على التميز في المواد القادمة.

كنا نذهب يومياً إلى مستشفى عسير بأبها، وكذلك المستشفى المدني، والمستشفى العسكري بخميس مشيط.

كنت أحياناً ممن يعاني من هذا الأمر، حيث كنت أسكن مع أهلي في خميس مشيط.. وأذهب في الصباح إلى أبها لحضور محاضرة نظرية، ثم إلى الخميس لحضور التدريب العملي ، ثم أعود لأبها لحضور محاضرة نظرية

بعد الظهر، ثم أعود بعد الدوام إلى أهلي في الخميس!!

في الوقت الذي كانت تبلغ فيه الزحمة أوجها ما بين مدينتي أبها والخميس ، كنت أحتاج أحياناً أكثر من ساعة للتنقل فيما بينهما.. أما الآن؛ فقد لا يحتاج الشخص سوى خمس عشرة دقيقة!!

لم تكن تلك المعاناة بشكل دائم، بل كنا أحياناً نستمتع مع الزملاء حيث نقضي أوقاتًا جميلة ورائعة.

في السنة الخامسة بدأنا نتعمق أكثر، حيث صرنا نُطالب بمعرفة أعمق لتشخيص بعض الأمراض الشائعة، وبدأنا بخوض غمار الاختبار العملي في المستشفى!

أربعون درجة على الامتحان نظري وستون درجة على العملي. طريقة الامتحان العملي تتمثل في أن يقوم الطالب بأخذ التاريخ المرضي للحالة، وإجراء الفحص لمدة ساعة ثم يأتي أستاذان لمناقشته.

وهنا تكمن عشرات القصص الجميلة والمؤلمة والمضحكة والمبكية أيضاً...!

لكل طالب تجارب خاصة في مثل هذا، سواء في الطب الباطني أو غيره.ومهما كان تميز الطالب واجتهاده إلا أن نوع الحالة المرضية – التي تكون من نصيبه – والأستاذين المناقشين له يؤثران بشكل كبير للغاية على أدائه ودرجته.

بعض المرضى يكونون متعاونين ويحاولون مساعدة الطالب، من خلال التفاعل والإجابة بوضوح على جميع الأسئلة وتقدير وضعه، بينما هنالك آخرون عكس ذلك!

مريض صامت ومرافق نائم!

في أحد أيام السنة الخامسة توجهت إلى مستشفى عسير لتأدية الامتحان العملي، والقلب واليد يرتجفان خوفاً!

توجهت لقسم الطب الباطني، دخلت المكتب، بلطفه وابتسامته الأبوية استقبلني الدكتور حيدر/ استشاري أمراض الكلى، سوداني الجنسية. قضى في السعودية عشرات السنين.. درس على يديه كبار الاستشاريين السعوديين.

طلب مني اختيار أحد الظروف، داخل كل ظرف رقم غرفة لحالة مرضية من الحالات التي جُهِّزت مسبقًا، اخترت أحدها.

صحبني الدكتور سعيد آل قانع، كان وقتها طبيبًا مقيمًا، لطفه يأسر الشعور، أحسست براحة وهدوء، توجهت إلى غرفة المريض.

شاب عمره أربع عشرة سنة تقريباً يرافقه أخوه العشريني، كان منهكاً لم يكن يستطيع التفاعل معي، ويريد أن ينام.

نظرت إلى المرافق، وجدته يغط في سبات عميق!

ارتبكت كثيراً!

فالوقت سيمر سريعاً ولا بد لي من إنهاء المقابلة استعداداً للمناقشة، خرجت أبحث عن الدكتور سعيد أملاً في أن يساعدني كي أجد حلاً، حاول مشكورا حتى استطاع إيقاظ المرافق وإقناعه - بدون إجبار - بأهمية الإجابة عن أسئلتي.

لم يبق سوى دقائق قليلة وينتهي الوقت، وأنا ما أزال أتخبط!

كان للقلق دورٌ كبير في عدم التركيز، إضافة إلى التفاعل الباهت من المرافق!

حتى آخر لحظة لم أستطع السير الصحيح باتجاه أهم أربعة أو خمسة أمراض لتشخيص الحالة، الأعراض متناقضة تماماً!

وفي اللحظات الأخيرة فهمت من المرافق أن المريض يعاني من السكري، وقد جاء إلى للمستشفى نتيجة ارتفاع السكر.. ولم تكن تلك أول مرة يرقد فيها في المستشفى، بل وأخبرني بالطريقة التي يتعاملون معه فيها في كل مرة!!

كتبت المعلومات بشكل سريع، فتح الدكتور سعيد الستارة وطلب مني التوقف والاستعداد للمناقشة!

لملمت أوراقي وخرجت حيث مكتب استقبال التمريض، وبدأت أحاول تجميع الأفكار وأنا في خوف وتوتر شديدين.

جاء دوري للمناقشة، دخلت المكتب، حاولت التظاهر بالهدوء..

وجدت أمامي اثنين من الاستشاريين، أحدهم الدكتور السوداني الرائع ساتي - رحمه الله - والذي كان متخصصًا في الجراحة، حيث شارك في مناقشة الطلبة، ولم أنس كيف كان يحاول مساعدتي وتسهيل النقاش بابتسامته الجميلة على الرغم من أنه لا يعرفني!

في حين كان الآخر عكسه!

انتهت المناقشة وخرجت وأنا لدي شعور أن أدائي كان جيداً، ولله الحمد ظهرت النتائج جيدة فيما بعد.

أغضبه المريض فغضب مني!

في السنة السادسة أخذنا فصل الطب الباطني الثالث، وكان يتوجب علينا معرفة بعض أهم الطرق العلاجية للأمراض الشائعة. في ذلك الوقت صرنا أكثر هدوءًا من السابق.. وصار بإمكاننا التركيز أكثر، والتعلم بشكل أفضل.

من الأشياء المهمة التي ساعدتني منذ ذلك الوقت، هو أني كنت أركز على إحدى الطرق المهمة والرائعة التي جعلتني أكثر إلماماً بذلك التخصص، حيث حاولت فهم وحفظ أهم الأعراض، ومن خلال ذلك أعمل خريطة ذهنية للتوصل إلى التشخيص التقريبي.

اختبار ذلك الفصل يحمل ذكريات طريفة للغاية، توجهت في الصباح لمستشفى عسير وأنا أدعو ربي أن تكون الحالة سهلة والممتحِن لطيفًا!

كانت الحالة لمريض عمره أكثر من ثمانين سنة، وكانت تلك هي أول مرة يتنوم فيها!!

دخلت عليه وقبلت رأسه، وحاولت إخباره بأنني مطالب بإعداد معلومات عن حالته. لم يفهم مقصدي وبدأ يقول كلاماً بلهجته لم أفهمه!

ارتبكت قليلا، أشفق علي ابن المريض؛ فبادر مشكورا بمساعدتي وهو يتبسم!

أخذت كافة المعلومات بدقة، وأعددت نفسي للمناقشة وأجريت الفحص المطلوب.

وقبل أن أخرج قبلت رأسه مرة أخرى ولاحظته ينظر إلي باحترام ويدعو لي.. طبعاً بكلام لم أفهمه!

جاء وقت المناقشة، فضّل الدكتور أن يدخل معي مباشرة إلى غرفة المريض ويتأكد من بعض المعلومات.

وهنا جاءت المفاجأة!

رفض المريض أن يكلمه أو يتفاعل معه، وفهمنا من كلامه أنه لا يريد ذلك الدكتور لعلاجه، بل يريدني أنا!

طبعاً هو لم يستوعب فكرة أنني طالب أتدرب.

بل لم يعطِ للأستاذ أي فرصة لكي يسأله، وقع الأستاذ في إحراج شديد للغاية!

أنهيت الاختبار، ولم تنتهِ الضحكات على ذلك الموقف الفريد!

مادة علم الأدوية

في السنة الرابعة درسنا مادة كانت تعد المادة الأكثر صعوبة لدى الكثير منا.

مادة علم الأدوية، تلك المادة التي تحوي مئات المعلومات التفصيلية حول الأدوية وتعقيداتها!

من المهم جداً أن يحرص الطالب على معرفة وحفظ أهم الأدوية في كل فروع الطب الأساسية. الأدوية الشائعة والمهمة قد لا تتجاوز الخمسين دواءً.

فلو تعمق الطالب في حفظ آلية عملها وفوائدها ومضاعفاتها؛ فسوف تسهّل عليه الشيء الكثير في مستقبل حياته المهنية والبحثية.

البروفيسور أنور حمدي

بغض النظر عن صعوبة هذه المادة ومدى التعب والجهد الذي بذلناه، والتوتر الذي أرهقنا بسببها، إلا أن أكثر ما يهمني في تلك المرحلة شيء مختلف تماماً.

هذه المادة ارتبطت عندي باسم عالم متمكن ومعروف لدى غالبية طلاب وأساتذة وموظفي كلية الطب بأبها منذ سنوات عديدة وحتى الآن .

البروفيسور أنور حمدي من سوريا، هذا الرجل العظيم في علمه ولطفه وحسن خلقه.

تخصص أولاً في جراحة التجميل في أمريكا، وقضى ما يقرب من عشر سنوات وحقق نجاحات كبيرة.

لكن ذلك لم يُرضِ شغفه وطموحه العالي؛ فقرر أن يتجه لعلم الأدوية.. أكمل سيره حتى حصل على أعلى الشهادات العلمية.

مكث في أمريكا عدة سنوات، رَأَسَ مركزًا بحثيًا معروفًا، ولقي دعمًا وتحفيزًا منقطعي النظير وسط بيئة تحترم العلم والعلماء.

قرر بعد ذلك الانتقال للسعودية، وعمل كأستاذ لعلم الأدوية في عدة جامعات حتى استقر في جامعة الملك خالد.

كان حين يدخل علينا بابتسامته اللطيفة يشعرني بالبهجة والأناقة النفسية، الغالبية من الطلبة يحترمونه ويقدرون علمه ومكانته.

المشكلة الأساسية التي عانى الكثير منها هي أن مستواه العلمي عالٍ جدا، وكان يريد أن يرتقي بمستوانا العلمي لأعلى مستوى ممكن.

ولكن بصراحة كانت هنالك فجوة علمية واسعة بيننا وبينه! ويبدو لي أنه لا يلائم إلا مرحلة الدراسات العليا!

كانت أسئلته بالغة في الصعوبة؛ لذلك كنا نركز أكثر في مذاكرتنا للامتحان على محاضرات الأساتذة الآخرين حتى نستطيع أن نجيب عن أسئلتهم ونضمن النجاح، ولو كان على الحافة!

كنت أتردد عليه في مكتبه وأنهل من حكمته وتجربته.

على جدران مكتبه عدة شهادات تبرز بعض ما ناله من اهتمام وتقدير علمي وبحثي في أمريكا.

كان الحزن والأسى يعتصراني لعدم وجود بيئة مناسبة له في الكلية، بل وفي العالم العربي كله!

هذا العالِم لا ينبغي أن يكون مجرد محاضر لطلبة بكالوريوس!

لا بد أن يُقدم له كل الدعم المالي والمعنوي لإجراء البحوث والدراسات والاكتشافات العلمية.

لم يكتفِ بالتميز الأكاديمي والبحثي فقط، بل إنه ألّف أيضاً كتباً فكريةً واجتماعيةً وعلميةً. ويشارك أبناءه الطلبة في العديد من اللقاءات التطويرية والاجتماعية داخل الكلية وخارجها.

لا يمكن أن أقابله حتى أبادر بتقبيل رأسه؛ فهذا الشيء الوحيد الذي أستطيعه تعبيراً عن مكانته في قلبي وقلوب المئات من طلابه.

لم أكن أراه مجردَ محاضرٍ أو عالمٍ فحسب؛ بل مربيًا، ومحفزًا وصاحبَ تجربةٍ ثريةٍ غزيرةٍ، من المؤسف جداً ألا يهتم الإعلام لها!

أجريت معه حواراً في صحيفة الجامعة، في نهايته سألته عن سبب عدم بقائه في أمريكا - التي وجد فيها كل ما يحتاج للنجاح البحثي والعلمي - فقال: «كنت أريد أن أعيش بين مسلمين وأموت بينهم» فقلت له: «أعتقد أنك مت فعلاً وأنت ما زلت حياً!!»

مادة الجراحة

كانت هذه المادة - إلى حد ما - مقاربة لمادة الطب الباطني من حيث طريقة التدريس والامتحانات، ولكنها كانت أخف بكثير، حيث كان معظم الأساتذة متفهمين ومتعاونين. ولم يكن المنهج والأسئلة بالصعوبة التي كانت عليه في الطب الباطني.

البروفيسور الرائع سعيد أبو عشي أحد أهم الأسماء التي تشرفنا بأن نكون ضمن طلابه.. رجل معروف بقربه من الطلبة وتواضعه وابتسامته المضيئة الجميلة.

وكذلك البروفيسور محمد الشهري، وأخوه الدكتور غرامة، والدكتور أنور، والدكتور محمد العسيري وغيرهم...

درسنا هذه المادة على مرحلتين، في السنة الرابعة ثم في السنة السادسة.

في السنة الرابعة - إلى جانب المحاضرات النظرية - كنا نتدرب في معمل مميز مجهز بالعديد من المجسمات التي تحاكي جسم الإنسان، حيث تعلمنا طريقة سحب الدم والحقن والإسعافات الأولية، وتركيب المغذيات، وغيرها من المهارات التي يلزم الطبيب إتقانها.. حتى لو لم تكن مهمته الأولى أثناء عمله كطبيب.

في السنة السادسة كنا نحضر العلميات الجراحية، وكان ذلك من أجمل ما يميز هذه المادة. لم يكن لدي رغبة وحب لها، ولكني كنت أستمتع بالدقة والإتقان والنظام الذي يسود غرف العمليات، وكذلك التعاون

والجهد الذي يبذله الجراحون ومعاونوهم.

كنا نشاهد بعض المرضى يُنومون قبل أيام من العملية، وهم في قمة التعب والألم، وبعد العملية يسبغ الله على كثير منهم العافية، ويتماثلون للشفاء.

كان لذلك دور كبير في اتجاه بعض الزملاء لهذا التخصص، إضافة إلى حبهم لإجراء العمليات يشدهم نحوها سرعة رؤية نتائج عملهم في أغلب الأحيان؛ مما يدفعهم لمزيد من العطاء والبذل.

مادة طب وجراحة العيون

مادة طب وجراحة العيون كانت من التخصصات التي استمتعت بها كثيراً، درّسنا عدد من الأطباء الرائعين، منهم: الدكتور سمير خيرالله، والدكتور يحيى الفلقي، والدكتور محمد المصوري، والدكتور الصديق عبدالرحمن العمري وغيرهم...

كان الدكتور العمري منسق الفصل؛ ولكوني كنت قائد المجموعة كان التواصل بيننا نشطًا.

من الذكريات الجميلة التي ما تزال في الذهن، أنه و قبيل موعد الامتحان النهائي علمت أن زوجة الدكتور العمري على وشك ولادة المولود الأول.

وكنا نعاني من ضيق وقت الاستعداد للامتحان، ولهذا انتهزت الفرصة واتصلت بالدكتور، وطلبت منه تأجيل الامتحان، وكان ذلك الرأي مناسبًا له أكثر منا، في ذات اليوم ولدت زوجته بابن أسموه محمد. الطريف أنني كلما قابلت الدكتور أقول له إن عمر ابنه محمد يؤرخ لموعد امتحاننا المؤجل!

كان تخصص طب العيون من التخصصات التي فكرت أن أتخصص فيها، وكنت مترددًا حيال ذلك.. ولكي أعيش جو التخصص ذهبت برفقة الدكتور العمري وحضرت إحدى العمليات في المساء، وبعد دقائق من بدء العملية تيقنت أنه لا يناسبني إطلاقاً!

من المهم جداً لطالب وطالبة الطب أن يحرصوا دوماً على التفكير

بالتخصص الذي يرغبونه، وأن يستثمروا كل فرصة سانحة لذلك.. خصوصاً مع بداية السنة الرابعة. المؤسف أن كثيرين يؤجلون ذلك إلى وقت متأخر جداً، وقد يضطرون أن يضيعوا من أعمارهم سنوات في تخصصات لا يرغبونها!

مادة الأذن والأنف والحنجرة

أما تخصص الأذن والأنف والحنجرة؛ فالحديث حوله يطول.. وله معي ذكريات من نوع خاص، قد أبوح بها مستقبلاً!

مادة الطب الشرعي

مادة الطب الشرعي من المواد التي لم أجد فيها شيئًا ممتعًا!

مادة لم أحبها إطلاقاً، جافة كجفاف مادة التشريح، مع احترامي لهذا التخصص.

ولكرهي الشديد جداً لهذه المادة لم أكن أهتم لها ولا أذاكرها!

وهذا أحد أبرز أخطائي في الكلية؛ فليس كل مادة ينبغي أن أعشقها لكي أهتم بها، كان يتوجب علي بذل الجهد والصبر حتى لا أقع في فخ الرسوب كما حدث معي في هذه المادة وغيرها!!

وبسبب تقصيري وإهمالي؛ رسبت في تلك المادة، بينما نجح الغالبية العظمى من الطلاب!

أجريت امتحانَ بديل نهاية السنة، ونجحت.

مادة طب الأطفال

أما تخصص طب الأطفال؛ فكان من التخصصات المميزة، إدارة القسم أكثر تنظيماً وترتيباً واهتماماً، تعلمنا الكثير من أساتذة أغلبهم كانوا قمة في العلم والأدب.

أكثر شيء تعلمته من هذا القسم هي تلك المشاعر الأبوية الصادقة التي كنت ألاحظها من الآباء والأمهات تجاه أطفالهم المرضى، رأيت حالات مؤلمة للنفس، دموع الوالدين شهدناها عدة مرات، وخصوصاً الأمهات!

بعضهن يبقين أيامًا عديدة مع أطفالهن في المستشفى، ولا يهنأنَ لا بنوم ولا بطعام!

مواقف كثيرة تختزنها ذاكرتي..

مادة أخلاقيات المهنة

في السنة الرابعة درسنا مادة أخلاقيات المهنة، تشارك فيها أساتذة من كلية الطب وآخرون من كلية الشريعة، فكرة وجود مثل هذه المادة جميلة جداً.

أغلب المحاضرين كانوا يقدمونها بشكل ممتع وواقعي، ما عدا أحدهم.. فقد كان مملاً لأقصى حد!

في هذه المادة شاهدنا الوجه المثقف للعديد من الاستشاريين، تفاجأنا من بعضهم، كنا نتوقع أن اهتماماتهم لا تتعدى تخصصاتهم الطبية!

في إحدى المحاضرات كان الموضوع حول زراعة الأعضاء، قدمها أحد أبرز أساتذة الشريعة المعروفين وأحد أبرز الاستشاريين .

لن أنسى تلك المحاضرة الشيقة ، الجميل أن كلا المحاضرين كانوا مختلفين تماماً!

فطبيعة هذا الموضوع مثير للجدل ودار حوله ويدور نقاشات وخلافات واسعة جداً.

إن وجود مثل هذه المادة الإنسانية وسط بحر المواد الطبية كان متنفساً ممتعا لي ولغيري.

مادة طب الأسرة والمجتمع

مادة طب الأسرة والمجتمع من التخصصات التي درسناها في السنة الرابعة، وحول هذا التخصص يدور بين الطلبة جدل واسع.

في السابق لم يكن يتخصص فيه سوى القليل؛ أما الآن فالمنافسة عليه شديدة جداً!

البعض يصفه بالتخصص المريح، وآخرون يصفونه بأنه تخصص بلا تخصص!!

الآن هنالك طب الأسرة وطب المجتمع كتخصصين منفصلين، ولكنا درسناه كتخصص ومادة واحدة.

كنا نتدرب في المراكز الصحية، وقمنا بعمل دراسة طبية في بعض المدارس.

بالنسبة لي كانت مواضيع طب المجتمع - إلى حد ما - أفضل من طب الأسرة.. خصوصاً تلك المتعلقة بالتخطيط والإدارة.

كنت أجد متعة بالغة في تلك المواضيع.

مادة جراحة العظام

في السنة الخامسة درسنا مادة جراحة العظام.. كانت من أروع المواد، ليس لذات المادة وإنما الجو العام لتلك الأيام.

في ذلك الوقت انتقلنا من مباني حي السامر إلى مباني الجامعة الجديدة في حي القريقر.

كان يدرسنا عدد من الاستشاريين الرائعين، منهم المربي الفاضل البروفيسور طارق مرداد، والدكتور المعروف سعيد القحطاني، وآخرون..

محاولة طردي من الامتحان

كان البروفيسور مرداد من أكثر من عرفت في روحه المرح، وحس الدعابة الذي كان يميزه عن غيره، كان حريصًا جداً علينا ويعدنا أبناءه.

في إحدى المرات كان يشرح لنا حالة أحد المرضى المنومين في مستشفى عسير، وقتها لم أركز معه، نظر إلي؛ فبدأت أهز رأسي وكأني أعي ما يقول، اتجه إلي وسدد لي لكمة بسيطة والجميع يضحك!

ذات الدكتور حصل لي معه موقف مخيف لا أنساه!

في يوم الامتحان دخلت القاعة متأخراً قليلاً، وكان الطلاب يختبرون في المسرح.. دخلت بكل هدوء وأنا أبتسم، بينما كنت أبحث لي عن مكان

رأيته في أعلى المسرح وهو يشير لي بيده لكي أخرج!

فهمت أنه يريد منعي من الامتحان لتأخري عن الموعد.

لحظات وتيقنت أنه فعلاً يطلب مني مغادرة القاعة!!

هذا معناه أنني قد أضطر لأعيد سنة كاملة..

تسارعت دقات قلبي، ارتجفت يداي!!

قدِم إليّ الدكتور سعيد القحطاني - بعد أن استأذن من الدكتور مرداد - فهدّأ من رَوعي وطلب مني أن أجلس وأشرع في أداء الامتحان.

أنهيت الامتحان وخرجت، غضبت كثيراً مما حدث!

تواصلت بعدها مع الدكتور سعيد؛ فأخبرني أن الأمور طيبة، وليس ثمة ما يثير القلق.. وطلب مني ألا أكرر خطئي.

العجيب أن هذا الموقف لم يقلل من قدر البروفيسور مرداد عندي، بالعكس؛ فقد تيقنت أن ذلك تأديب لي بغض النظر عن تفاصيل الموقف.

فالإنسان قد لا يتعلم حتى يتألم!

آخر مرةٍ قابلته فيها كان في بداية عام ٢٠١٤م في مطار جدة، بمجرد أن رأيته؛ تقدمت إليه وقبلت رأسه وسعدت بالحديث معه.

مادة النساء والولادة..
المهمة السرية!

بداية سيئة

في الفصل الدراسي الثاني من السنة الخامسة دَرسْنا مادة أمراض النساء والولادة، كنا نتدرب في المبنى القديم السيئ لمستشفى أبها العام، والحقيقة أنني كنت أحاول أن أجتهد ولكن لم يرُق لي ذلك الفصل إطلاقاً، وكانت المحاضرات النظرية والتدريب العلمي ثقيلة جداً علي.

كان من الطبيعي ألا أنجح في المادة بسبب إهمالي!

وكما هي عادتي؛ فأنا لا أخبر أهلي بأي شيء قد يعكر مزاجهم أو يضيق عليهم. لقد تعودت خوض مشاكلي لوحدي.

قررت الاستعداد للاختبار/ الإعادة بشكل متقن، بذلت جهدًا كبيرًا، كنت أذاكر يومياً لساعات طويلة.

حفرة

أتى موعد الامتحان، كان النظري جيدًا. توجهنا للمستشفى لتأدية الامتحان العملي، عدة ساعات في غرفة الانتظار حتى حان موعد دخولي على اللجنة، حاولت الإجابة بكل ما لدي من استطاعة، كانت المناقشة صعبة، ومع ذلك خرجت وأنا موقن بالنجاح.

كانت دفعتنا آخر دفعة يطبق عليها النظام السنوي.

في ذات الوقت اعتُمد فيه ولأول مرة فصل صيفي لمن لم ينجح من الدفعة التي قبلنا!!

صدمة

بعد أيام حصلت لي صدمة بالغة جداً.

ظهرت الدرجات، والجميع ناجح إلا أنا!!!!

كانت مشاعر الصدمة تسيطر علي..

ذهبت للكلية والتقيت بالمسؤول، علمت أنه لم يتبق لي لكي أنجح سوى درجات قليلة.. في ذات الوقت كنت متأكدًا أنني أجبت إجابات معظمها صحيحة، بل إني راجعتها مع أحد الأساتذة بعد خروجي من اللجنة..

فيما يتعلق بالامتحان العملي، لم يكن لدي دليل قطعي حسي يثبت صحة إجاباتي..

والخلاصة أنني لم أر أنه من المناسب أن أزيد من مناقشة المسؤولين؛ فقد اقتنعت بأهمية أن أتحمل أنا كامل المسؤولية، ولا أضيع وقتي في نقاش لا فائدة منه!

شجاعة

علمت وقتها أن الفصل الصيفي قد بدأ في المستشفى؛ فقلت سوف أحضر، ولن يكون ذلك إلا حافزاً لي على خوض تحدٍّ جديد!

علم الزملاء الذين كانوا في الفصل بأن الجميع قد نجح ما عدا طالب واحد، ولم يكونوا يعرفون من هو..

دخلت القاعة؛ فإذا بالغالبية ينظرون والدهشة تعلو وجوههم..

لم يتوقعوا أنني ذلك الطالب الراسب!

أغلبهم يعرفني عن بُعد عبر صحيفة الجامعة.

بل حتى الأستاذ تعجب من مجيئي في ذلك الوقت السريع..

كان يعتقد أنني سأمكث زمناً في حزن وكآبة، وقد لا آتي للدوام إلا في أيام لاحقة، هذا إن جئت أصلاً!

جلست واكتفيت برسم ابتسامة وحاولت أن أركز في الدرس.

انتهت المحاضرة، ثم جاء أحد الأساتذة الأعزاء ممن علم بأمري، وهو من جنسية غير عربية، وضع يديه على كتفي وقال باللغة الإنجليزية: « أنت رجل عظيم » رفعت بصري إليه وقلت: « أعرف ذلك! »

لم يكن ذلك مدحاً للذات، ولكن نطق لساني بما قد أقوله أيضاً عن غيري ممن يتجاوز تلك الصدمة بشكل سريع!

اعيش التحدي لوحدي

وهنا تأتي تلك التجربة الرائعة والتي أسميتها (المهمة السرية)..

قررت ألا أخبر أحداً بما حدث، حتى أقرب الأصدقاء!

البعض علم أنني لم أنجح، ولكن قلت لهم أن هنالك خطأ وقد عُدِّل!

يقول ديفيد فيسكوت: «عندما تشكو؛ فإن كل ما تفعله هو إثارة غضب الآخرين. إن الشكوى دائماً مؤلمة لأنها تضيف مزيداً من الضغوط على موقف متأزم بالفعل.

إن الشكوى قد تظهرك شخصاً غير مسؤول، وتكشف عن قلة صبرك وعدم قدرتك على التصرف لصالح نفسك.

عندما تشكو؛ فإنك في الواقع تحتج على ضعفك وقلة حيلتك!».

ولمدة شهرين كاملين كنت كل صباح أخرج من بيتنا بخميس مشيط وأتوجه إلى مستشفى أبها العام، و أحضر المحاضرات النظرية والعملية.

كنت أخرج وأنا لابس بدلة، أما البالطو فأتركه في السيارة وألبسه إذا دخلت المستشفى.. لكي لا يشعر أهلي بشيء!!

كانت أمي تستغرب خروجي اليومي في الصباح، وفي كل مرة آتي لها بعذر!!

يقول ديفيد فيسكوت: « إن الحقيقة هي أنك لست في حاجة لعمل الكثير كي تجعل حياتك أفضل، بل إنك في حاجة فقط إلى القليل من الجهد.

إنك لست في حاجة لأن تتسلق قمة إيفرست ، حيث إن كل ما تحتاجه هو أن تتخذ خطوة إيجابية بسيطة للأمام.

تحلّ بقليل من الشجاعة. إن ما تكافح من أجله سوف يتم على أكمل وجه لو تحليت بقليل من الصبر.

إن العمل الذي أنت بصدده سيكون على ما يرام إذا ما عثرت على الشجاعة اللازمة لبذل المزيد من الجهد.

إن المهمة التي تخشاها والمستوى الذي تتمنى أن تصل إليه والأوقات العصيبة التي ترغب في تجاوزها يمكنك أن تتعامل معها جميعاً لو تحليت بقليل من الشجاعة. إنك لست ملزماً أن تحل كل مشكلاتك.

كل ما عليك هو أن تبدأ. كل ما عليك أن تكون أكثر شجاعة».

كان الفصل الصيفي فرصة رائعة لكل الزملاء لكي يساعدهم على التخرج وعدم التأخر.. لأنهم من الدفعة التي قبلي. أما بالنسبة لي؛ فهو كارثة!

ومع ذلك فقد كنت - ولله الحمد - أكثرهم تفاؤلا واستمتاعا، بل كنت أشجع بعضهم على الاجتهاد وإنهاء الفصل بتميز.

وبعد توفيق الله، كان للأفكار الإيجابية التي امتلأ بها عقلي جراء القراءة دور فعال جداً في ذلك.

إيجابية

في تلك الأيام قررت أن أبدأ بتأليف كتابي الأول (نهضة إنسان) حيث كانت أفكاره موجودة ولكن مبعثرة؛ لذا قررت أن أنهيه، وفي خلال سبعة عشر يومًا كان الكتاب جاهزًا للطباعة، ثم نُشر بعد ذلك.

وقد خصصت جزءًا منه للحديث عن الأزمات، وكتبته في إحدى غرف المستشفى!

كنت يومياً أخرج في الوقت المتاح بين المحاضرات إلى بوفيه قريب من المستشفى.. وأتناول الإفطار وأستمتع بالحديث مع الموظف الهندي. كنت أراه مستمتعًا بحياته.. مخلصًا في عمله، يعيش وكأنه يمتلك الدنيا!!

مرت الأيام وجاء الامتحان واجتزته بدرجة جيدة، ومباشرة توجهت إلى مكة وكان ذلك في منتصف شهر رمضان من عام ١٤٣٠هـ ومن هنالك اتصلت بكل أصدقائي وأخبرتهم بكامل القصة!

لم أنسَ كيف أنهم صعقوا مما حدث، وغضبوا لعدم إخبارهم. كنت أقول لهم «أريد أن أعيش هذا التحدي لوحدي وأردت أن تستمتعوا بإجازتكم».

الطريف أن غالبية أهلي لم يعلموا بذلك حتى الآن، ولعلهم قد يفاجؤون وهم يقرؤون هذه السطور!

الطب النفسي
واختيار التخصص

خطأ فادح

من الأخطاء الجسيمة التي تحدث في معظم كليات الطب هو عدم وجود آليات أو دورات ضمن المناهج الدراسية تساعد الطالب على اختيار التخصص.

قد تقام بعض الدورات هنا أو هناك ولكنها ليست ضمن الخطة الدراسية المنهجية في الكلية.

ونتيجة لهذا الإهمال نجد عشرات الطلبة يتخرجون في الكلية وقد يكونون من الأوائل.. ولكن يخفقون بقية حياتهم نتيجة عدم اختيارهم للتخصصات المناسبة لهم، ولقد شاهدت كيف أن بعض زملاء الدفعة تنقلوا بين أكثر من تخصص، ومنهم من ليس مقتنعًا بتخصصه الحالي!

سنة الامتياز ليست كافية إطلاقاً لجعل الطالب يعرف تخصصه فعلياً.

الأمر يتطلب مجهودًا أكبر من ذلك بكثير لعدة سنوات!

من بداية السنة الربعة ينبغي أن يكون هنالك تركيز مكثف على إكساب الطالب مهارة اختيار التخصص الطبي.

ينبغي للطالب أن يعرف شخصيته وقدراته بعمق، ويتعرف على كل الجوانب المحيطة بكل تخصص يدرسه، وليس أن تكون المواد مجرد معلومات يختبر فيها!

ينبغي أن يكون لكل قسم جهد فعلي في توضيح المهارات والأدوات المطلوبة التي ينبغي الإلمام بها وتنميتها، لمن يريد أن يتخصص في ذاك

التخصص أو غيره.

هنالك أحياناً بعض الجهود لبعض الأساتذة، لكنها تظل مجرد خطوات شخصية، وليست ضمن منظومة شاملة يشترك في صياغتها الجميع.

بالنسبة لي أدركت أهمية ذلك منذ أول يوم دخلت فيه للكلية!

البعض كان ينتقد اهتمامي بذلك، ويراه قفزاً على المراحل، ولكني كنت واثقاً أن الطالب بمجرد أن يدخل الكلية لا بد أن تكون الخيارات أمامه واضحة، ومع الوقت سيعرف رغبته الفعلية.

فحص

كنت أحضر خارج الكلية دورات تحديد التخصص، مع أنها كانت تقام لطلبة الامتياز وأنا ما زلت في السنوات الأولى!!

ومنذ ذلك الوقت وضعت أمامي عدة خيارات تناسب شخصيتي ورؤيتي التي أسعى لتحقيقها في الحياة.

وفي كل سنة أجدني أقترب من التخصص الملائم، وبعد فترة أيقنت أنني إما أن أكون طبيبًا نفسيًا، أو لا أكون طبيبًا إطلاقاً!

صار معظم من حولي يدركون ذلك، وكنت خلال تلك الفترة وقبل أن ندرس مادة الطب النفسي وبعدها أساهم في مساعدة بعض من يتعرض لضغوط ومشاكل نفسية، من خلال مهارات فطرية ومن خلال حبي الشديد لعلم النفس ومهارات العلاج السلوكي المعرفي والذي كنت أمارس القليل منه.

مادة الطب النفسي

كنت أنتظر السنة السادسة بشغف كبير لكي نأخذ تلك المادة، وأتعلم أساسيات الطب النفسي، ولكي أرى هل هذا التخصص مناسب فعلاً أم لا!

في السنة السادسة بدأنا فعلا بدراسة الطب النفسي، حيث درّسنا كل من الدكتور الصديق موسى آل زعلة، والدكتور أسامة، والدكتور حسن العمري. كانوا ثلاثيًا رائعًا، استفدنا منهم الكثير.

ذهبت لمكتبة العبيكان وأخذت كتاب الطب النفسي المعاصر - باللغة العربية - للدكتور المعروف أحمد عكاشة.

كنت أود أن أفهم أساسيات الأمراض الرئيسية، وكنت أستمتع بشكل كبير جداً.

جاء الامتحان النظري الفصلي من أربعين درجة، وللأسف فقد أخفقت فيه!!

كان خطئي أنني ركزت معظم الوقت على القراءة خارج المنهج أكثر من مذاكرتي للمواضيع المهمة التي أعطونا في المحاضرات.

يقول الدكتور إبراهيم الفقي - رحمه الله- : «ليس هناك فشل في الحياة، بل خبرات مكتسبة. فالقرار السليم يأتي بعد الخبرة التي تأتي من القرار غير السليم. لا تقلق أبداً من الفشل، بل الأولى بك أن تقلق على الفرص التي تضيع منك حين لا تحاول حتى أن تجربها. الحكمة اليابانية تقول أنك لو وقعت سبع مرات فقف في المرة الثامنة!».

حزن الفرح

كنا نذهب للتدريب العملي في المبنى القديم لمستشفى أبها للصحة النفسية!!

كان المبنى سيئ للغاية، غرف المرضى ومكاتب الموظفين والأطباء غير جيدة على الإطلاق.

معظم الزملاء كانوا يتذمرون من هذه المادة، ولا يجدون فيها متعة لا في معلوماتها ولا في التعامل مع الحالات المرضية.

أما أنا؛ فكنت أجد لذة وسعادة ومتعة عالية جداً، وكان كل يوم يمر علي أصبح فيه أكثر تعلقاً وتمسكا بهذا التخصص.

كنا نذهب للمستشفى كل يومي أحد وثلاثاء، إلى أن جاء ذلك اليوم الذي لم أنسَه مطلقاً!

قدم لنا الدكتور أسامة آخر محاضرة نظرية في الكلية، وكان الاختبار بعدها بأيام، وكان يفترض أن نتوجه مباشرة للمستشفى للتدريب العملي، نظر للطلبة وقال: « بسبب قرب الامتحان وإنهاء المحاضرات النظرية والعملية لن يكون هنالك تدريب في المستشفى هذا اليوم! ».

شعرت بحزن بالغ جدا، وتكدر مزاجي للغاية، بينما الجميع فرحون!

لم أكن أتوقع أن يقودني شغفي وحبي لهذا التخصص أن أشعر بما شعرت به.

وبعد ساعات من ذلك الموقف بدأ يتسلل إلى قلبي شعور الفرح

والسعادة لأني وصلت فعلاً للتخصص الذي يناسبني بالرغم من أنني وقتها لم أمارس العمل فيه كطبيب امتياز!

ولكن في ذلك اليوم أعلنت لذاتي أنني وصلت للجزيرة التي كنت أسعى لمعرفتها من خلال عدة دورات وكتب ومهارات، حاولت الاستفادة منها لاختيار التخصص المناسب.

غيرت من طريقة مذاكرتي، وبفضل الله حصلت على درجة جيدة في الامتحان النهائي.. الذي كان يعتمد على أسئلة حول حالات مرضية مختلفة.

أنهيت ذلك الفصل الرائع جداً وأنا في شوق لأبدأ التدريب والعمل فيه في سنة الامتياز وما بعدها.

وللمربي القدير والصديق الوفي الدكتور موسى آل زعلة دورٌ في تقريبي من هذا التخصص، وهو أحد أبرز الأشخاص الذي ساعدوني في أمور كثيرة، وأرجو أن أستطيع رد المعروف إليه في مستقبل الأيام.

كيف بدأت ببناءٍ ذاتي معرفياً وفكرياً ؟!

استقلالية

من خلال قراءتي لسير عشرات الناجحين في مختلف المجالات في هذا العصر والعصور السابقة؛ وجدت أن الغالبية العظمى منهم اعتمدوا على أنفسهم بشكل مركز وكبير في البناء المعرفي مع الاستفادة - بلا شك - من بعض من حولهم، ولكن كان الاعتماد على الذات في بنائها يشكل ثقلاً كبيراً وأهمية أعمق.

ومن هنا كانت انطلاقتي بالاعتماد المباشر على الذات في توفير الجو والمناخ الملائم للنهل العلمي والمعرفي والمهاري.

دخلت الجامعة وأنا أمتلك مهارات ممتازة في التخطيط والقراءة، وكان هذان المجالان يستحوذان على غالبية وقتي، حتى في الجامعة!

كنت أحاول في كل مرحلة عمرية أن أستفيد من المحفزات والمنابع المعرفية والتربوية المتوفرة.

منذ المرحلة الابتدائية وحتى دخولي للجامعة كان نهم العلم والمعرفة والتطوير ينمو معي بفضل الله، ثم بفضل والدي ووالدتي، إضافة إلى عشرات الأساتذة والمربين الذين زرعوا فيَّ وفي غيري قيماً إيجابية.

ابتعاد ثم اقتراب

في مرحلة متأخرة من المرحلة الثانوية بدأت أقترب أكثر من الفكر النهضوي الحضاري.. وصرت ألتهم عشرات الكتب الفكرية لعدة مفكرين.

وبعد فترة نمت لدي بعض الإشكالات الفكرية، حيث كنت أعتقد أن الفكر الإسلامي ليس له علاقة بالنهضة!

والسبب يعود لقلة الاهتمام بالفكر النهضوي في المحيط الذي كنت أعيش فيه وكذلك في الوسط الإسلامي بشكل عام .

ثم بدأت أرى أهمية هذا المسار الحيوي والذي - للأسف - يوجد فيه تقصير كبير خصوصاً في المجتمع الخليجي!

فهنالك نقصٌ في عدد المفكرين العرب الإسلاميين الذين يُعْنَوْن بشكل مباشر بمسائل النهضة والحضارة مقارنة بعدد المفكرين الغربيين.

مفكرون استفدت منهم

بعد مدة أصبح لي مساران واضحان في حياتي: القضايا الفكرية، والعلوم النفسية.. حيث يمثلان عجلتي دراجتي في الحياة، واعتماداً عليهما كنت أخطط لأصل لتحقيق رؤيتي.

انكببت على التهام عشرات الكتب والأبحاث والبرامج لعدد من المفكرين. كما اطلعت أيضاً على فكر ومؤلفات العديد من الفلاسفة والمفكرين الغربيين والشرقيين. كنت أحاول الاطلاع على مختلف الأفكار والألوان الفكرية، وأمزج بينها مع الرجوع إلى من أثق في فكرهم في حال حدوث أي إشكال فكري.

إضافة إلى قراءتي المكثفة حول شخصيات العديد من المفكرين وسيرهم الفكرية وما يكتب عنهم، وتأثرت كثيراً بعدد من التجارب الفكرية الملهمة، وكنت أبحث بشكل مكثف في الإنترنت عن لقاءات مرئية أو مقروءة من تلك التي تتحدث عنهم وعن مشاريعهم الفكرية.

صرت من أكثر المهتمين والمطلعين على معظم ما يكتب في قضايا النهضة والحضارة رغم صغر سني.

زاد ذلك النهم أكثر بعد ملازمتي للمفكر المربي الدكتور عبدالكريم بكار، والذي كان له شخصياً ولكتابه (فصول في التفكير الموضوعي) فضل كبير علي في محاولة بناء عقلية نهضوية متحضرة ملتزمة بالقوانين الحضارية في التفكير السليم.

لقد كان لذلك الكتاب تأثير عميق جداً في تكوين عقلية متفتحة موضوعية محبة للمعرفة والتقدم الحضاري.

كنت أحرص بشكل دائم على متابعة عشرات البرامج المرئية الفكرية، والسياسية، التي وجدت فيها من بناء الوعي ما لا يمكن وجوده في الكتب!

خصوصاً حين يكون النقاش حول قضاياً جديدة وحديثة.

استفدت كثيراً من عدة دورات ومؤتمرات فكرية مكثفة عبر الإنترنت، التي كانت تقام في العديد من البلدان حيث لم تكن ظروف الوقت مناسبة لحضورها.

علوم إنسانية

بنيت ذاتي في عدة علوم إنسانية من تلك التي لا بد للمفكر أن يعرف أسسها وقواعدها دون الحاجة للخوض في تفاصيلها.

العلوم الشرعية كانت تحتل لدي مرتبة عالية، قرأت لعدد من الفقهاء والمشايخ من المغرب العربي، الذين كانت لهم نظرات وأبحاث وكتب فقهية عصرية تساهم بشكل كبير في تفتيح بعض المسامات الذهنية التي عمد كثير من الفقهاء التقليديين على إغلاقها لدى كثير من الشباب!!

(مقاصد الشريعة) من أكثر العلوم الشرعية التي تعلقت بها وقرأت فيها، وأظن أن هذا العلم لا يوجد له انتشار واسع في البلاد العربية ما عدا المغرب العربي، حيث ينتشر بشكل كبير. وفي بقية المجالات الشرعية والإيمانية والتربوية قرأت عشرات الكتب واستمعت لعشرات الأشرطة الصوتية واللقاءات المرئية لعدة مؤثرين. قرأت كثيراً في السياسة لكتاب غربيين وعرب، كنت أحاول أن أبني لدي وعيًا سياسيًا ونظارة أستطيع من خلالها رؤية ما يحدث بشكل أقرب إلى الوضوح.

مجال التاريخ من الحقول المعرفية التي استهوتني كثيرا، ضمت مكتبتي عشرات الكتب والمجلدات التاريخية، ولكن لم تكن الكتب وحدها هي المصدر، بل كنت أستمع كثيرا في سيارتي لعشرات الأشرطة التاريخية للدكتور أحمد الدعيج، الذي سرد بشكل رائع عبر عدة ألبومات التاريخ الإسلامي عبر عصور مختلفة.

وكذلك كنت أقرأ بعمق في العديد من كتب علم النفس وقد أجد فيها متعة لا توصف.

كما قرأت كثيراً في القيادة الإدارية وحضرت العديد من الدورات، حاولت بكل جهد تنمية مهارة القيادة، والمهارات الإدارية. أثمر ذلك فيما بعد ولله الحمد.

كانت لي قراءات متنوعة أيضاً في مسارات أخرى كالاقتصاد، وعلوم الاجتماع والفلسفة وتاريخها، والتربية، والتراجم، والأدب، وقليل من الروايات، وغيرها..

علوم تطوير الذات

التنمية البشرية وأفكار النجاح والتخطيط والسعادة كانت مجالاً مهماً جداً في حياتي.. كان لها - بعد الله - الفضل الكبير والواضح في إكسابي مهارات سلوكية ونفسية ومعرفية ساهمت بشكل واسع في رسم الأهداف وتحقيقها، والصبر على المشكلات والإبداع في حلها.

حضرت عشرات الدورات بشكل مباشر ودورات أخرى عبر الإنترنت، ولكن كان للكتب الأثر الأعمق والأقوى.

تأثرت بمؤلفات وبرامج ودورات عشرات البارزين في هذا المجال.

خلاصة التجربة في البناء الفكري

لقد حبب لي ربي القراءة؛ فصرت أحبها حباً جماً؛ ولذا تعد هوايتي وسعادتي. تكونت لدي مكتبة ضخمة مقارنة، أصبح لدي حينها أكثر من ٢٧٠٠ كتاب في مختلف المعارف وخصوصاً في الفكر، والتنمية البشرية.

ركزت جيداً في بناء ذاتي فكرياً من خلال تحسين التفكير وكذلك فهم أفكار المفكرين من خلال كتبهم وبرامجهم، إضافة إلى بعض العلوم الإنسانية، حيث حاولت فهم الأسس والأفكار العامة لتلك العلوم؛ لكي تساعدني على زيادة الوعي الفكري وفهم الحياة.

فبناء المفكر يستلزم صقل المهارات العقلية الفطرية واكتساب مهارات التفكير الموضوعي والنقدي، وكذلك معرفة أفقية بأهم العلوم الإنسانية، إضافة إلى الالتقاء بالمفكرين، وغير ذلك من الخطوات المختلفة.

الإنتاج الفكري...
خطوات البداية

الكاتب الشاب

في مجتمعنا هنالك عرف دارج أن الشخص ينبغي ألا يكتب أو يؤلف إلا إذا أصبح في عمر متقدم!

وهنالك من يتهم المؤلف الشاب بأنه يسعى للشهرة والظهور وليس لديه علم كافٍ!

لذا كان اقتحام عالم التأليف والكتابة والتأثير الفكري - وأنا ما زلت طالباً - مخاطرة فعلية.

يقول ديفيد فيسكوت : «إن الشيء لا يحدث ما لم تتخذ خطوات للقيام به. لا شيء في هذا العالم ساكن.. لذا ينبغي أن تخاطر طوال الوقت. إنك تخاطر كي تنمو، وتنمو كي تظل شاباً، كي يكون لديك أمل..

إن المخاطرة ليست بالعمل السهل، ولو كانت كذلك لم تكن لتصبح مخاطرة!

تُرى بأي شيء تخاطر؟ إنك دائماً معرض لفقدان شيءٍ ما تهتم به عندما تخاطر؛ لأن المخاطرة ليست خطوة، وإنما قفزة!

أتعتقد أنك في مأمن؟ إنك تكون سعيداً فقط وأنت آخذٌ في النمو. أتعتقد أنك قد أنجزت عملك؟ إن عملك دائماً يبدأ طالما بقيت حياً.

إنك بحاجة لأن تخاطر كي تتوافق مع حياتك بكل ما فيها، وتكتشف وتعرف، وتتعلم، وتستسلم، وتتغاضى، وتتولد لديك نظرة كاملة.. وتقبل العالم وما يمنحه لك. إنك بحاجة للمخاطرة كي تجد نفسك..

إنك بحاجة للمخاطرة كي تحيا».

لا أريد أن أكون منهم

آمنت مبكرا بمقولة الدكتور عبدالكريم بكار: «لا يوجد مفكر بدون إنتاج فكري!» وكانت حافزاً لي لأبدأ بالكتابة الفكرية، في ذات الوقت كنت أتأمل في حال عشرات الأشخاص ممن لديهم اطلاع عميق، ولكن تأثيرهم محدود للغاية، بل قد لا يكون لديهم تأثير يُذكر!

لم أكن أريد أن أصبح منهم، في ذلك الحين، ومن خلال قراءاتي اكتشفت وجود العديد من كبار الأدباء والعلماء والمفكرين المؤثرين، قد ألفوا وهم في العشرينات من أعمارهم!!

ولم يمنعهم ذلك أن يكونوا أصحاب عمق معرفي، وتأثير واسع جداً!

كانت الكتابة وما تزال بالنسبة لي وسيلةً أساسية في البناء الذاتي، قبل أن تكون مُنتَجاً يُقدَّم للآخرين.

فعندما أكتب فأنا أكتب لنفسي أولاً، وأراها عملية صقل وحفظ وترسيخ للفكرة التي قرأت حولها وفكرت بعمق فيها؛ فهي وسيلة فعالة جداً لمزيد من القراءة والاطلاع والبحث.

لذا كنت أكتب وأنشر لتكون الفكرة أكثر رسوخاً في عقلي، ولتكون بين يدي الآخرين لتقييمها ونقدها، وبهذا تكون تغذية راجعة إيجابية.

أنظر إلى القراءة، والتفكير، والملاحظة، والتجربة، وغيرها.. كونها مصادر للفكرة

وأشبهها بالفواكه؛ فالأفكار فاكهة والكتابة عصيرها!

كانت تلك إحدى هواياتي التي ما تزال تشعرني بالراحة النفسية. كنت أهرب إليها وتجيء إلي..

نشرت في العديد من الصحف المحلية وخصوصاً صحيفة الوطن السعودية.

صحيفة آفاق الجامعة

كنت أكتب وأنشر قبل دخولي الجامعة، ومنذ أول يوم دخلت الجامعة وقعت عيناي على صحيفة آفاق الجامعة، التي كانت تصدرها الجامعة شهرياً.

الإعلام مسار مهم لي، لم يكن هدفي أن أكون إعلامياً، ولكن أحاول استخدام الإعلام لنشر الفكر والوعي النفسي.

بدأت رحلة البحث عن مقر الصحيفة، علمت أنها في إحدى الفلل المستأجرة في أبها الجديدة، حيث كانت إدارة الجامعة. أوقفت سيارتي بعيداً وسط حرارة الظهيرة.

تلك الأمكنة تحكي ذكريات الشقاء حين كان والدي يدخل من مكتب إلى مكتب آخر أيام البحث عن حقي في التسجيل في كلية الطب، كان الحماس يحفزني لأضع لي بصمة!

وصلت إلى إدارة الصحيفة، قلبي ينتفض خوفاً من الرفض، وعقلي يحفزني على طلب الانضمام لإدارة التحرير، دخلت، وجدت بعض الموظفين.

تحدثت إلى أحدهم وهو الأستاذ العزيز فهد الرياعي.. تلطف معي، رحب بأي مشاركة صحفية بحيث تعرض على مسؤولي الصحيفة، وأفادني بأن المجال متاح للجميع

ابتهج قلبي، تقاذفت الأفكار إلى عقلي، شعرت بالفرحة؛ فالفرصة

أتيحت بعدما ركزت على القدرة والرغبة، وهذا الثلاثي مهم لتحقيق أي هدف.

من هنا وضعت أول حرف لقصتي مع صحيفة آفاق الجامعة التي استمرت سبع سنوات.. عرفني من خلالها الكثير، أناس شجعوا وآخرون بالغوا في الكره، وآخرون لم يكن يعنيهم الأمر.

حاولت تنمية قدراتي في الكتابة، أعددت عشرات المواد الصحفية، لم يكن هدفي منها أن أصبح صحفياً!

ولكن لكي أدخل عالم الصحافة وأفهم أسسه؛ ليكون ذلك عوناً لي لتحقيق أهدافي الفكرية والعلمية النفسية المستقبلية.

إلى جانب ذلك كنت أكتب مقالات مختلفة..

عملي في الصحيفة أكسبني شهرة طيبة، حيث قربني إلى عدة أساتذة في الجامعة. استثمرت ذلك إيجابياً في صنع علاقات ممتازة مع أصحاب الفكر والعلم والتربية ممن تأثرت بهم من ذلك الحين، وحتى الآن.

وكذلك جعلتني أتعرف على عشرات الطلبة المميزين من كليات أخرى واستفدت من تجربتهم وعلمهم ونقدهم.

كانت بعض مقالاتي وموادي الصحيفة تُقرأ خارج الجامعة، و تصلني ردود أفعال وآراء إيجابية للغاية.

خلال تلك المدة حدثت لي عشرات القصص الجميلة، وغير الجميلة أيضاً!

كان لبعض الطلبة وجهات نظر مختلفة؛ فمنهم من يعتقد أن ظهوري المتكرر في الصحيفة كان بسبب واسطة!

ولذا كنت ألاحظ كره البعض لي..

بعضهم صارحني بذلك، كنت أرد مباشرة أن الشخص بإمكانه الذهاب لمقر الصحيفة وطلب الانضمام.

وأن المكان هو لمن يعمل فقط.

وبالفعل ذهب البعض وعملوا مدة معينة، ولكن الغالبية منهم لم يستمروا!

والسبب عدم وجود أهداف سامية تحفزهم على العطاء والبقاء.

بعض الأساتذة كان يحاول بشتى الطرق أن أعمل معه لقاء لمجرد الظهور فقط!

كنت أرفض مثل ذلك بطريقة غير مباشرة.

غير متوقع

ومن المواقف التي لا أنساها حدثت لي مع أحد الأساتذة، حيث كان يشغل وقتها منصبًا إداريًا في الكلية.

كان لدينا استطلاع لآراء عدد من الأساتذة والطلبة حول موضوع معين.

طلبت من ذلك الأستاذ المشاركة، وأخبرته بتفاصيل طريقة نشر المادة.

بعد فترة أرسل لي مشاركته؛ فقمت بإضافتها إلى المشاركات الأخرى، وبالطبع فاسم كل مشارك يسبق مشاركته، ووضعت اسمي كوني محرر المادة.

وبعد صدور العدد، فوجئت بغضب ذلك الأستاذ!

قال لي كلاماً لم أفهمه!

كنت أتوقع منه على الأقل أن يشكرني لكوني نشرت رأيه!

ما حدث كان عكس ذلك، علمت لاحقاً أنه اعتقد أنني سرقت رأيه، ووضعته تحت اسمي!!

أصبت بخيبة أمل.. كيف به وهو استشاري معروف وإداري بارز في الكلية ولا يعرف ماذا يعني الاستطلاع الصحفي وأنه مختلف عن المقال؟!

مع أن اسمه موجود ومشاركته كتبت كاملة كما هي!

وغير ذلك من المواقف المزعجة، التي كانت تؤكد لي أن في جامعاتنا

أكاديميين لا يفقهون شيئا في غير تخصصاتهم!

سعيت جاهداً لإحداث تغييرات في الصحيفة، وقدمت مشروعًا متكاملاً مكتوبًا، ولكن للأسف كان العمل يجري بطريقة رتيبة مملة في كثير من الأحيان!

ومع ذلك كانت وما تزال تربطني علاقة محبة واحترام بكل الزملاء في الصحيفة.

سبع سنوات قضيتها في العمل بالصحيفة، أكسبتني خبرة جيدة، ومهارات طيبة، ومعرفة بالناس، وشهرة إيجابية استثمرتها لتحقيق أهداف نبيلة لي ولغيري.

تجربة التأليف الأولى

استمريت أكتب بشكل دائم في الصحف، وبعض المواقع الإلكترونية، ولكن كان ما يزال لدي حلم أسعى لتحقيقه قبل التخرج من الكلية.

لدي قناعة أن الكاتب المؤثر لا بد أن يحجز له مبكراً مكانًا بين الكُتّاب والمؤلفين، في نفس الوقت يستمر في بناء ذاته؛ فلا تعارض بين ذلك المطلبين.

البداية بتأليف كتاب كانت الخطوة المهمة جداً في حياتي مع الكتابة..

ليس لكونها حلمًا، بل لأن ذلك يعد عكس التيار السائد!

كنت أنظر إلى أهمية أن أغامر وأنشر حتى أضع لي بصمة، وأؤثر في غيري، وأستفيد من نقدهم؛ بحيث أتفرغ بعد ذلك لإنجاز العديد من المهام في بناء ذاتي وإتقان تخصصي الطبي.

لم أجد أنه من المناسب أن أؤلف بعد أن أبلغ الأربعين أو حتى الثلاثين؛ ليقيني أن كتاباً يؤلفه شاب في العشرين سوف يكون له صدى أوسع والتفات أكبر.

خصوصاً أن هنالك العشرات من المؤثرين في الماضي والحاضر صدرت لهم كتب وهم في شبابهم، ولقيتْ أصداءً امتدت لسنوات طويلة، ولم يمنعهم ذلك عن الاستمرار في طلب العلم وتنمية الفكر.

قررت أن تكون السنة السادسة هي الفترة التي أنشر فيها كتابي الأول.

كانت أفكار الكتاب وملامحه جاهزة لدي، احتاج الأمر إلى ترتيب

وتنظيم وتنسيق ومراجعة.

أفكاره هي أفكاري التي أعيش بها وأطبقها في حياتي، ليست نقلاً من كتب ولا نسخاً.. بل هي نَفَسٌ من أنفاسي، كتبتها لنفسي قبل أن أوجهها لغيري.

ما حدث في السنة الخامسة عندما رسبت في مادة النساء والولادة، كان حافزاً لي بشدة أن أبدأ بالتأليف!

فكثيراً ما كانت المعاناة دافعاً للمتفائل ليعمل وينتج، لا أن يتقاعس ويندب حظه.

سبعة عشر يوماً كانت كافية لترتيب وصياغة مادة الكتاب.

كنت أهرب لأكتب!

لم أكن أصدق أنني فعلاً أحمل بين يدي مسودة كتابي الأول!

أعطيتها والدي لمراجعتها، وأفادني بالعديد من الأفكار، وكذلك الدكتور أيوب الأيوب الذي تعمق فيه وأسدى لي أفكارًا مهمة، ثم سلمت أستاذي القدير عائض عيبان نسخة ليقوم مشكوراً بالمراجعة اللغوية.

وكذلك الدكتور عبدالكريم بكار الذي جمّل الكتاب بمقدمةٍ كان لها أثر كبير جداً في انتشاره!

ومع بداية عام ٢٠١١م صار الكتاب جاهزاً للطباعة، والدي مشكوراً دعم طباعته.. بحثت عن مطابع حتى وجدت مطبعة معروفة في الرياض.

سافرت إلى هناك ومكثت أيام عديدة، تفرغت تماماً للكتاب، أصحح

بعض ما فيه، وأراجع بعض أفكاره، وأعيش على أمل صدوره!

(نهضة إنسان) هو العنوان الذي اخترته له.

توجهت إلى قسم المطبوعات بوزارة الإعلام لاستخراج الفسح، وجدت منهم التشجيع والتقدير، أنهوا معاملتي بسرعة وإتقان.

ولأكثر من أسبوع وأنا أتردد على المطبعة، عشت أيامًا متعبة جداً جداً، كنت أقول لمن حولي أن تأليف خمسة كتب قد تكون أسهل من مراجعة وتصحيح ومتابعة طباعة كتاب واحد!!

سلمت الكتاب للمطبعة وعدت لأبها، وبعد أسبوعين انتهت الطباعة، وذهب الزميل الإعلامي طارق القرني واستلمه نيابة عني، وبعدها بأيام عدت للرياض واستلمت بقية النسخ.

كانت لحظة لا تنسى أبداً، أبداً!

ها أنا صرت مؤلفاً لكتاب قدم له مفكرٌ معروف وراجعه متخصصون!

جددت نيتي ودعوت ربي أن يكتب له النجاح.

تزامن ذلك مع بداية معرض الكتاب الدولي بالرياض، بِيع الكتاب في عدد من أجنحة دور النشر بالمعرض، وقمت بتوقيع الكتاب على المنصة والفرح يغمرني، والسعادة تسيطر علي.

عشت أيام المعرض وسط بهجة لا تنسى، قابلت العديد من الشخصيات، أهديتهم كتابي.. كانت وسيلة قوية لبناء علاقة متينة معهم.

انتشر الكتاب في المكتبات، ظهرتُ في عدة مقابلات تليفزيونية وصحفية، سعدت بردود الفعل الجميلة الإيجابية.

لم أتوقع أن تنفد الطبعة في مئةٍ وثمانين يومًا تقريباً!

آلاف النسخ بيعت، كتب الكثير عنه واستفاد منه الكثير –ولله الحمد–.

تلقيت نقداً إيجابياً من البعض، ولكن كما هي عادة كارهي الخطوات الناجحة، لا بد أن تكون بصماتهم تلوث تلك الفترة!

يقول الدكتور إبراهيم الفقي – رحمه الله – « إنجازات ونجاحات اليوم هي أحلام وتخيلات الأمس؛ فالتخيل بداية الابتكار، وهو أهم من المعرفة ذاتها، وهو الذي يشكل عالمنا الذي نعيش فيه. الكثير من الأحلام كانت محط سخرية العالم قبل تحققها، مثل حلم فريد سميث مؤسس فيدرال اكسبريس، وحلم والت ديزني الذي أفلس ست مرات. يحدث كل شيء داخل العقل أولاً؛ لذا عندما ترى نفسك ناجحاً قادرًا على تحقيق أهدافك مؤمنًا بذلك في قلبك، كل هذا سيخلق قوة ذاتية داخلية تحقق هذا الحلم.

تموت بعض الأفكار العظيمة قبل أن تولد لسببين: عدم الإيمان الداخلي، وتثبيط المحيطين بنا. المكان الوحيد الذي تصبح أحلامك فيه مستحيلة هو داخلك أنت شخصيًا».

الهدف من البداية المبكرة للإنتاج الفكري

لم أُرِدْ أن أكون ممن يقضي سنوات طويلة من عمره في بناء ذاته، وحين يأتي ليؤثر لا يجد من يعرفه أو يستقبل منه.

فتسويق الذات والأفكار مبكراً من أهم ما ينبغي على المؤثر فعله، ليس الهدف بالطبع حب الظهور والاستعراض؛ فلو أراد أي منا ذلك لدخل إلى عوالم تكون الشهرة فيها كلمح البصر في سهولتها، ولكني على يقين أننا أمة تنتظر من أبنائها أن يكونوا في المقدمة، وأن يقدموا أفكارهم في قوالب ملفتة؛ أملاً في المساهمة في نهضتها وانتشالها من الركود.

لقد كان لتلك الخطوة الأثر البارز والقوي، حيثُ فتح المجال لي في أكثر من منبر إعلامي وتأثيري، وصار بإمكاني الالتقاء بالعديد من الشخصيات الناجحة، وسهّلت لي توصيل شيء مما تعلمته وتأثرت به.

وأهم شيء جنيته من ذلك أنها كانت أكثر وأكبر وأعمق محفز لي على المزيد من طلب العلم، والتعمق في الفكر، وغزارة القراءة، والتركيز الشديد على الأهداف والإبداع في الإنجاز.

ولنا مع الأساتذة حكايا!

التأثير القيمي يبقى

الطالب قد ينسى المعلومات، بل قد لا يحتاج لبعض منها بقية حياته، ولكن يرسخ في ذهنه ويتغلغل إلى روحه تلك الأفكار والمبادئ والقيم التي يغرسها فيه أساتذته.

وهذه حقيقة عشتها وعاشها غيري أثناء دراستنا في الكلية؛ فمنذ السنة الأولى وحتى السادسة مر علينا عشرات الأساتذة في تخصصات مختلفة ، شخصيات عديدة، جنسيات متنوعة أفكار، وطبائع متباينة.

أساتذة لم نعرف قدرهم وقدر كلامهم إلا بعد أن تركونا، وآخرون انخدعنا بهم، وآخرون مروا بلا تأثير يذكر، وآخرون أساؤوا وأساؤوا!!

في السنوات الثلاث الأولى كانت علاقتنا بالأساتذة محصورة في قاعات المحاضرات والمعامل

بينما كنا نلتقي بغالبية أساتذة السنوات السريرية في المستشفيات؛ ولهذا كان هنالك أحياناً نوع من التنوع في التعامل.

أصناف الأساتذة

الصنف الأول: أولئك الذين أمدونا بالمبادئ والقيم الراقية والتربية الحسنة، ولم يغفلوا عن المعلومات والجانب الطبي. هؤلاء لم ولن ننساهم وإن قصرنا معهم ، مع أن بعضهم كان شديداً قاسياً في الامتحانات، ولكن احترامهم وحبهم في قلوبنا يزيد ولا ينقص.. ذاكرتي تزخر بأسماء الكثير منهم، وتمتلئ بعشرات المواقف والأحداث التي تعكس نبلهم ورقيهم وفضلهم. أخشى أن أذكرهم فأنسى منهم أحداً! ولكنهم معروفون ومشهود لهم بالخير والسمعة العظيمة.

كنت أنتظر بشوق حضور محاضراتهم.. من أجمل اللحظات حين يعرج بنا أحدهم حول حكمة تعلمها، وآخر عن نصيحة أثرت فيه، وثالث عن موقف غير حياته.

كانوا يحرصون بشدة أن نفهم المعلومات المهمة التي ستفيدنا بقية عمرنا المهني، لم يكونوا من أصحاب التعقيد، هدفهم تعليمنا وتربيتنا وإرشادنا..

الصنف الثاني: أساتذة فضلاء لم يكن لهم تأثير في شخصياتنا وأفكارنا، ولكنهم أبدعوا في تعليمنا، وكان لهم الفضل في توسيع فهمنا للعديد من المعلومات الطبية.

الصنف الثالث: وهذا للأسف صنف غير إيجابي!

احتقار للطلبة، تعقيد!

يتعمدون جعل المادة صعبة للغاية؛ من أجل أن يشعروا بأهميتهم! بعضهم يتفاخرون كونهم حصلوا على الزمالة الطبية من دول متقدمة، ويغفلون عن التواضع واللطف؛ إذ هما من أهم القيم المنتشرة هناك!

لقد كان لهذا الصنف أثر على ثقة بعض الزملاء في قدراتهم ومعلوماتهم، حتى أن البعض واجه صعوبات في بداية سنة الامتياز نتيجة لاهتزاز الثقة!

بعض أولئك قد يكون ممن يمتلك علمًا غزيرًا، وخبرة طبية واسعة، ولكن للأسف لم يكن لهم تأثير علمي يوازي ما لديهم.

كما أن هنالك عددًا من الأساتذة متميزين في الجانب الطبي العلمي، ولكنهم لا يمتلكون مهارات التعليم والتدريس. سنوات طويلة قضوها في الكلية ثم في الزمالة وبعدها جاؤوا للتدريس دون أن يطوروا من مهاراتهم ويحسنوا من أدائهم!

التخرج

نهاية البداية

بعد تلك السنوات التي بدأت بمعاناة شديدة،.. ثم توالت فترات رخاء وراحة، ونكد وضيق.. جاءت لحظة لتطوي ما مضى!

التخرج من الجامعة واستلام الشهادة مفترق طرق، مرحلة انتقال وارتحال، لا يعرف طعمها إلا من تذوقها.

في حفل التخرج - الذي يُقام في نهاية السنة السادسة - حضر والدي فرحاً مفتخراً ممتلئًا بالسعادة كما هو حال كل أب في مثل تلك المناسبة.

لبستُ «المشلح» الأسود الذي طالما انتظرته بشغف، امتلأت القاعة، بدأت مسيرة الخريجين، وخلالها ارتسمت في ذهني صورة والدي حين كان ينتقل من مكتب إلى مكتب في بداية دخولي الجامعة أملاً في أن يجد حلاً ومخرجاً ومنقذاً لأدخل كلية الطب!

تذكرت أَلَم تلك الفترة، تذكرت مرارتها وكدرها وبالغ أساها، وأنا أخطو خطواتي لمحت أبي وكأني به يتذكر هو أيضاً تلك المأساة!

زملائي في قمة سعادتهم، أولياء الأمور والحضور لم يتوقفوا عن التصفيق الحار.. كانت دقائق معدودة ولكنها مسحت وأزالت كل ألم، ومحت كل ضنك!

جاء التكريم.. شرفني الزملاء بإهدائي درعًا؛ نظير جهدي في قيادة الدفعة، استملته بكل سعادة، كانت لحظة وفاء لم أنسَها.

عدت إلى البيت.. لم أستطع النوم؛ فالفرحة أبعدته عني.

نُشرت صورة تكريمي في إحدى الصحف، توالت الاتصالات على والدي يباركون ويهنئون.

أقام والدي مشكوراً مناسبة خاصة، اجتمع العشرات من الأقارب والزملاء وأصدقاء والدي، تلقيت منهم الهدايا والتبريكات الصادقة، لم أنس كيف كان والدي مزهواً فرحاً فخوراً، بعد ست سنوات من البذل أصبح أباً لطبيب!

حمدتُ الله كثيراً أن مكنني من تعويض والدي ووالدتي وبقية إخوتي عن بعض معاناتهم معي في سنتي الأولى، وحمدت الله أن جعلني أرفع رأس والدي.

وأختم بالقول: إن لتخرجي خفايا سيذكرها الزمن!

سنة الامتياز.. التحول!

سنة الامتياز هي سنة التحولات والتغيرات لطالب الطب، مرحلة انتقالية بين الدراسة والوظيفة، يتعرض فيها لصنوف من المنحنيات الجديدة والمنعطفات المختلفة.

هي سنة مهمة جداً لتحضير الطبيب نفسياً ومهارياً لمهنة الطب، وأهم فائدة هي أن يجرب طالب الطب العمل والاحتكاك المباشر بالتخصصات التي هي على قائمة رغباته.

بالنسبة لي.. كنت قد حسمت مبكراً مسألة التخصص، وصار الطب النفسي خياري الأوحد.

كانت لي عدة أهداف من هذه السنة، أهمها: الشعور بلذة إنهاء دراسة البكالوريوس. وممارسة العمل كطبيب مبتدئ، وأخذ فترات من الراحة بعد تلك السنين

كان يتوجب أن يتدرب الطالب في أقسام الباطنة والجراحة وطب الأطفال والنساء والولادة، ويتاح له شهران يختار فيهما التخصص الذي يرغبه.

راحة

بدأت سنة الامتياز في قسم الأشعة بالمستشفى العسكري بخميس مشيط، اخترته ليس حباً فيه ولكن لآخذ فترة راحة!

لم يكن يعني ذلك عدم العمل والتدرب في القسم بل استفدت منهم الكثير، ولكن طبيعة القسم تتسم بالهدوء، وعدم وجود مهام كثيرة علي. كانت تلك الفترة فرصة ترتيب أوراقي في الحياة بشكل عام، وفي المجال الطبي خصوصاً.

آخر صِدام

من أهم الأمور الجديدة في سنة الامتياز، هو شعور الطالب بالاستقلالية المادية، حيث يصرف له راتب جيد، وقد زامن بداية الامتياز الأمر الملكي بإعطاء راتب إضافي للموظفين. تأخر نزول الراتب وشعرنا أن هنالك حاجة ماسة لمراجعة إدارة الجامعة.

لا أنسى ذلك الموظف غير المنجز!

علمت أن الكثير من الزملاء ذهبوا إليه، وكان يعاملهم بجفاء، ويرد بأنه لم يُوقع بعد على معاملة الصرف!

كنت على يقين بأن مثل هذه المعاملات لا تأخذ وقتًا عند إدارة الجامعة؛ لكونها روتينية وحق طبيعي لطالب الامتياز.

تفاجأت بأن البعض ممن بدأ قبلها بعدة أشهر لمّا يستلم راتبه بعد!

قبل التوجه إلى أحد المسؤولين الكبار في الجامعة، توجهت أولاً للموظف؛ فرد علي بنفس ما قيل لي، تركته وتوجهت للمسؤول الذي كان قمة في الأدب والخلق والاهتمام.. تفاجأ مما ذكرت له، وأكد أن ذلك لا يمكن أن يحدث إلا بإهمال الموظف!

مباشرةً نادى الموظف المعنيّ، دخل علينا المكتب وخطاه تتسارع مرتبكاً، وبّخه المسؤول وأمره أن ينهي المعاملة فوراً!

وبالفعل لم تمر سوى فترة قصيرة جداً حتى أُنجزت.

في نفس الوقت سمعنا أننا قد لا نكون ضمن من يشملهم الراتب الإضافي!

عدت للمسؤول مباشرة وبينت له الأمر، قام مشكوراً واصطحبني للقسم المالي وأمر بصرف الراتب الإضافي.

وبلغة شديدة الحزم واللطف في ذات الوقت كلف المسؤول بإنجاز ذلك، حتى لو ترتب على ذلك أن يأتوا في المساء ويأخذوا بدل خارج دوام.

شعرت بأنني عدت بشكل غير مباشر لممارسة عملي كقائد للدفعة..

مع الأطفال

بعد انتهاء ذلك الشهر المريح بدأت العمل في قسم طب الأطفال في نفس المستشفى. كنت أريد الانتقال للمنطقة الشرقية وإكمال بقية المدة هناك، ولكن الأمور لم تتيسر.

في أول يوم دخلت فيه القسم كان بالنسبة لي الجوُّ غريبًا، جديدًا كما هو الحال في أي تجربة جديدة.

لكني لم ولن أنسى ذلك اللطف والاستقبال الأنيق من الدكتور أحمد البشري، أتى إليّ ورحب بي، وسألني عن اسمي، دقائق قليلة لكنها جعلتني أشعر بالطمأنينة والارتياح.

استفدت من الدكتور أحمد وغيره من أطباء القسم الشيء الكثير، حرصت أن تكون علاقتي بالجميع طيبة وراقية.

كنت أناوب مع بعض الأطباء المقيمين، أكتفي فقط بالملاحظة وببعض الأعمال البسيطة.

الطبيب العجيب

في أحد الأيام طُلب مني أن أقدم تقريراً موجزاً عن إحدى الحالات، ثم أقدمه في الاجتماع الصباحي، تعبت كثيراً على إعداد التقرير، بإشراف الدكتور أحمد.

حان موعد تقديم الحالة، الجميع تفاعل بشكل مشجع ومحفز، ما عدا أحدهم الذي كان يكثر من مقاطعتي ويسألني أسئلة أعلى من مستواي!

بل لم يترك فرصة للدكتور أحمد أن يدير الحوار!

كان ذلك الطبيب من الشخصيات التي لا ترى أنها تملك علماً إلا بمحاولة تحطيم غيره!

لم ألتفت لذلك كثيراً، وغمرني البقية بكلمات الثناء والتحفيز والنقد الإيجابي.

قضيت في ذلك القسم الجميل شهراً كاملاً، ثم انتقلت إلى قسم عناية الأطفال بمستشفى الملك فيصل بخميس مشيط، وهنالك أيضاً تعلمت على يد أطباء فضلاء، ولكن لم أستمتع كثيراً؛ فالخوف كان يباغتني حين أفحص الأطفال الرضّع!

لم تكن لدي الثقة الكافية، وكنت أحاول ألا أظهر كثيراً، ودعوت ربي أن ينتهي ذلك الشهر سريعاً!

انقلاب

في الشهر الثالث بدأت في القسم الذي كان لي معه مهمة سرية سابقة/ قسم النساء والولادة، ولكن هذه المرة في خميس مشيط وليس في أبها، وقد أصبحت طبيبَ امتياز وليس طالبَ طب!

لم يكن قسماً جيدًا بالنسبة لي؛ لكوني لا أحب هذا التخصص، مع احترامي لمن هو مجال عملهم.

كان يشرف عليّ أحد الأطباء حيث يتمتع بخلق عالٍ جداً، ولطف واحترام في التعامل. كان يعاملني بثقة مطلقة، بينما كان بعض زملائي يعانون من تشدد مشرفيهم.

كنت أحاول أن أستفيد من بعض المعلومات والمهارات.

في أحد الأيام ذهبت للمشرف أطلب منه أن يأذن لي بالغياب لفترة أسبوع بسبب سفري.. فجأة وبدون سبب واضح غضب ورفض، بل وبدأ يعاملني بشدة غير معهودة منه!

مع أنني لم أستغل طيبته أبداً، بل كنت أحترمه وأقدّره وأنجز ما يسنده إليّ من مهام.

مرت بقية تلك الشهرين ببطء حتى احتفلت في آخر يوم!

وداعاً أبها

في تلك الفترة كنت أخطط للانتقال للمنطقة الشرقية والاستقرار الدائم فيها، ولكن البعض اقترح علي أن أنتقل إلى الرياض؛ لوجود فرصٍ أكثر للنجاح والتميز.

لا أدري كيف اقتنعت بذلك!

ولكني عقدت العزم وودعت أهلي واستقريت في الرياض.

كانت هي المرة الأولى التي أعيش فيها بعيداً عن أهلي وأصدقائي، كانت الرياض بمكتباتها الكثيرة وفعاليتها الفكرية وغيرها تجذبني، في نفس الوقت يشدني الحنين لأبها!

مدينة الملك فهد الطبية

بدأت التدريب في مدينة الملك فهد الطبية، بقسم الأذن والأنف والحنجرة، ثم قسم طب وجراحة العيون. كانت تجربة ماتعة، بالرغم من بعض ما أصابني فيها!

ثم انتقلت إلى قسم الجراحة العامة، وكانت أيامًا لا بأس بها.

في تلك الفترة كنت أصطحب معي كتاب (أنا) للعقاد في فترات المناوبة، كانت المناوبة متعبة ومرهقة جداً، مع أنني لست مسؤولاً بشكل مباشر، بل كان كل العمل على الأطباء المقيمين، ولكن كان لا بد أن أكون في الخط الأول ثم أقوم باستدعائهم؛ ولذلك لم أكن أستطيع النوم إطلاقاً حتى انتهاء المناوبة في الصباح.

كان الجو العام في مدينة الملك فهد الطبية مميزاً للغاية، تحوي المدينة عشرات الأقسام وتستقبل المرضى المحولين من كافة أنحاء المملكة وخارجها.

ولا أنسى ذلك اليوم حين أنهيت المناوبة وأنا في قمة الإرهاق والتعب، ثم اتجهت للمواقف وكما هي عادتي حينها كنت أنسى مكان السيارة!

ولكن بالضغط المتكرر على الريموت أسمع المنبه ثم أجدها بعد بحث يسير، في ذلك اليوم ضغطت كثيراً ولكن لم أسمع شيئًا !

الإرهاق يكسر جسدي، ولم أستطع مواصلة البحث، ظننت أنها سُرقت!

فجأة رأيت السيارة ولكن لم تشتغل، كان هنالك مشكلة في البطارية. مكثت عدة ساعات حتى جاء أحدهم وساعدني وذهبت.

في تلك اللحظة بدأ يظهر لي جلياً الفرق بين الدراسة والعمل؛ فأثناء الدراسة في الكلية كنا نعاني من ضيق وتعب نفسي وشد أعصاب مستمر، خصوصاً أيام الامتحانات. ولكن العكس أثناء العمل؛ فالضغط النفسي أقل ولكن الجسدي مضاعف للغاية.

وبدأت أتقين أنني لا بد أن أدرب نفسي وأروضها على التعامل مع ضغوطات العمل بكل أشكالها.

المستشفى الجامعي

بعد ذلك ذهبت للمستشفى الجامعي بالرياض، وبدأت التدرب في قسم الباطنة.

أُجبرت أن أتدرب في قسم الأورام!

كنت أريد التدرب في قسم الباطنة العام، حيث الفائدة أكثر.

تصادمت مع المسؤول، تعامل معي بجفاء مطلق، اضطررت أن أبدأ في ذلك القسم.. وحاولت النظر للموضوع بإيجابية.

أكثر شيء أثر فيني حتى الآن أولئك المرضى الذين كان أكثرهم ينتظر الموت!

عشت العديد من القصص وتأثرت بها!

لأول مرة أرى إنساناً يحتضر ثم ثانيًا، وثالثًا، وهكذا.. عدة أشخاص كنت أزورهم في الصباح ثم لا أجدهم في اليوم التالي!

كان أطباء القسم والممرضين قمةً في العطاء والوقوف إلى جانب المرضى ومحاولة تخفيف آلامهم وتصبيرهم وإنعاشهم بالأمل والتفاؤل..

ولا أنسى ذلك المريض الذي كنت يومياً أزوره وأكتب ما يستجد في حالته، ولا أذكر أنني رأيت أحدًا يزوره، وبعد عدة أسابيع توفي – رحمه الله – ثم جاء أحدهم، تبين لي لاحقًا أنه ابنه، وكأن لم يحدث شيئاً!!

كان شديد البرود! تألمت كثيراً من ذلك العقوق، ودعوت الله أن يجزيه على شر فعلته!

الاستشارية الباكستانية

وبعد شهر انتقلت للعمل في قسم الطب الباطني العام، وهنالك كانت الاستفادة والتجربة أكثر ثراءً ومتعة، تعلمت الكثير واستفدت من الأطباء بشكل منقطع النظير.

كانت تشرف علينا استشارية باكستانية، كانت شديدة في العمل، وتجبرنا على الدقة في الأداء والجهد المضاعف، تعبت كثيراً ولكني استفدت وتعلمت وهذا هو الأهم.

مسار حياتي الطبية

كنت أتردد على قسم الطب النفسي وأحاول أن أقترب من الأطباء النفسيين وأتعرف عليهم، ثم أتيح لي العمل فيه، قضيت فترة كانت مفصلية ومهمة للغاية.

حيث إنها الفترة التي اقتنعت فيها أن الطب النفسي فعلاً هو التخصص الذي الوحيد الذي يمكنني الاستقرار معه مهما حصل، ومهما كانت الصعوبة والعوائق والتضحيات...

تعلمت الكثير من المعلومات والمهارات، كنت أمكث الساعات الطوال في القسم متلذذاً بكل لحظة، ومستفيداً من كل طبيب نفسي في القسم.

مطبخ

انتهت تلك السنة الثرية، تنقلت فيها بين عدة مستشفيات وأقسام، والتقيت بالعديد من الأطباء من مختلف الكليات واستفدت من عدد من الفضلاء.

شعرت فعلاً أن هذه السنة كانت المطبخ الفعلي الذي أعدني لأبدأ حياتي كطبيب نفسي. مر عليّ العديد من المسؤولين، تيقنت أن الناس لهم ألوان من الطباع والتصرفات.. بعض من كان ضدي وجدته معي لاحقاً، والعكس.

فوائد تربوية كثيرة زرعها فيَّ الكثير ممن كنت تحت إشرافهم، وآخرون لم يزدهم علمهم ومناصبهم إلاّ وقاحة واحتقاراً لغيرهم وتكبراً عليهم!!

أيقنت تماماً أن مهنة الطبيب على الرغم من سمعتها العظيمة، إلا أنها مهنة شاقة متعبة مجهدة لمن يخلص ويتقن، ولكنها في ذات الوقت تملأ قلبي راحة ووجداني أناقة نفسية هانئة سعيدة.

إلى المملكة المتحدة

سافرت إلى المملكة المتحدة لعدة أسابيع كمشرف مع إحدى الجهات التي تعنى بالموهوبين.

كانت أول رحلة دولية لي، تجربة فريدة لن أنساها؛ فمجرد أن يخرج الشاب إلى أي من الدول المتقدمة ويرى ما فيها من إيجابيات وسلبيات؛ فإن ذلك حتماً سيضيف إلى وعيه الكثير.

كانت إقامتي في مدينة أدنبرا باسكتلندا، وزرت عدة مدن، مثل: لندن، ومانشستر وغيرها..

كنت أُكثر من التجول لوحدي، والتحدث مع الناس ومحاولة اكتشاف تلك الثقافة.

كانت لي حوارات مع العديد من سائقي التاكسي، أذكر أنني قلت لأحدهم: «لماذا قيادة السيارة عندكم في اليسار عكس العالم كله تقريباً؟!» فرد: «نحن على صواب، وبقية العالم على خطأ!» وآخر كنت أتحدث معه حول الإسلام وكان مما قال لي: «أعلم أن نبيكم إنسان ناجح، ولكن أغلبكم فاشلون!».

كان لتلك الرحلة تأثير في وجداني ووعيي، وجعلت لدي تقبلَ فكرةِ أن العيش للدراسة في الخارج ستكون تجربة رائعة، مع أنني كنت ضد تلك الفكرة سابقاً!!

لحظة أنستني كل ألم

بعد تلك السنة الرائعة توجهت للجامعة؛ فأنا على موعد مع لحظة ينتظرها كل طالب جامعي في كل بقاع العالم!

استلام الوثيقة وشهادة الامتياز لحظة طالما عشتها في خيالي لسنوات، توجهت لإدارة الكلية واستلمت شهادة الامتياز، ثم إلى عمادة القبول والتسجيل واستملت الوثيقة.

مشاعر غريبة، ولحظات مختلفة من لحظات العمر!

أمشي خطوة ثم أنظر إليها، قرأتها عدة مرات، ضممتها إلى صدري، دمعت عيناي فرحاً.. أكاد لا أصدق! فبعد كل تلك السنوات وذلك الألم والعناء أتى الفرج.

لحظات أنستني آلام كل ما سبق، أزالت ما تبقى في قلبي من مشقة وألم السنة الأولى.. وأبقت في عقلي تجربة تحدٍّ أعتز بها.

مضيت باتجاه سيارتي، أمضي ثم أتوقف لأنظر إلى مباني الجامعة، ذلك المكان الذي احتضن ذكرياتي.

إلى مبنى الكلية السابق بحي السامر، مكثت أتأمل وأتذكر تلك الحكايات التي عشتها.. مشاعر حزن وفرح وضحك وبكاء.. ثم توجهت إلى مباني كلية العلوم، تلك التي تذكرني بالسنة المؤلمة، تأملتها طويلاً.. صمتٌ عميق، وأحاسيس مختلطة، وشريط طويل عريض من تجربة انتهت بإخفاقات ونجاحات.

انتهت الحكاية

وبدأتُ حكايةً جديدة

سأرويها بعد سنوات

- بإذن الله -

اعتراف:

أعترف أنني لم أذكر كل ما حدث، ولكني لم أذكر إلاّ ما حدث!

فهرس

فهرس

فهرس

نبذة عن المؤلف ..

طبيب نفسي في البورد الألماني.

مهتم بمجالات: السعادة - النجاح - النهضة.

صدر له كتاب: نهضة إنسان.

مَمَرّ

ما بين عامي ٢٠٠٤م و ٢٠١١م كانت قصتي مع دراسة الطب بأبها جنوب السعودية، لم تكن مجرد دراسة جامعية بل حكاية تَغَيُّر في التفكير وتشكل لرؤيةٍ مختلفة وتكوّن لقناعاتٍ متنوعة.

كتبتها لنفسي أولاً ثم لمن يريد أن يطلع على تجربة شاب لا يزال يمضي نحو تحقيق رؤيته ويسعى لتأدية رسالته، شاب لديه أخطاؤه وتقصيره، في ذات الوقت اعتاد الركض تحت المطر!

د. بندر آل جلالة

B_Jalalah

ISBN 978-603-90968-2-5

9 786039 096825

تشكيل
TASHKEEL
للنشر و التوزيع
Publishing & Distribution
@Tashkeell